عبد الغني ملوك
الحب
في زمن التحولات
رواية

الحب

في زمن التحولات

عبد الغني ملوك

الحب

في زمن التحولات

رواية

الفراش يطير حول المصباح إلى المصباح. ويعود إلى الأشكال يخبرهم عن الحال، بالطف المقال. ثم يمرح بالدلال طمعا بالوصول إلى الكمال.

الحلاج

(١)

كان صباحاً رائعاً ... انتشر دفء لذيذ بعد مطر رخي ناعم هطل منذ الصباح. كان ياسر الخوخة في هذا الصباح فرحاً نشطاً مستبشراً. لم ينم من الليل إلا أقله. كان يحلم بلقاء رومانسي بعد غياب أسابيع اليوم ستصل جويل، وطاقم المحطة إلى مطار بيروت.

كم طال انتظاره لهذا اليوم صنع القهوة بيديه، وكان أبوه وزوجة أبيه جورجيت وولداه كفاح وثائر ؛ وكذلك الخادمة، مازالوا نائمين.

في حديقة الدارة ببيروت الشرقية قرب البحيرة، وتحت شجرة الكباد جلس يشرب قهوته الطيور على الأغصان استيقظت قبله ومازالت تغرد.

وبحركة راقصة تقفز من غصن إلى غصن .... الشمس فردت خيوطها الأولى غب المطر على مروج الحديقة المبتلة وأزهارها. تائق الأرجوان وفاح عبير الياسمين، وانتشى البنفسج من المطر الناعم ونقاء المحيط. يذكر لقاء رائعاً مع جويل في دير الأب أنطون، فيه تغشى المكان والزمان إرهاص الحب المتمنع والمانح في ذات اللحظة، وسط البحيرة وهما يسبحان، يذكر وعداً قطعته بإعلان بداية علاقة حب بعد سنوات من جفاف طال استجداؤه لها حبا ويومذاك انهمر الهيام وابلا كانت في البدء قد تمنعت بذريعة لا يقبلها العقل، تقول: إن الوفاء لزوجها السابق يمنعها من حب جديد . زوجها الذى قتل غيلة بقنبلة غرست في سيارته، لأنه تعدى خطوطاً حمراء رسمها الآخرون، ولم يعترف هو بها. يذكر يوماً أنها طلبت منه وقتاً تتجاوز فيه جفاف عواطفها، إلى أن جاء ذلك اليوم الرائع الذى وعدته فيه بحب طالما سعى إليه. كان ذلك في قبو النبيذ في دير الأب أنطون، وأعقب الوعد قبلة طويلة، واندماج حميم لم يعرف أروع منه في حياته، وكذلك هي أعلنت!

طال غيابها في بغداد، بالمحطة الفضائية التابعة لأنطون شركس، كان معها على مدى شهور، ثم غادرها مضطراً، هو وأبو ارز وولداه إلى بيروت، كان تلك الأسابيع دهوراً. اليوم سيلتقيان فهل تغير فيها شيء يا ترى؟ هل بردت العواطف؟ أم ازدادت شوقاً

ہے واشتعالاً كما هي حاله اليوم؟. غيمة عطر وسعادة تلفه، وقلبه ينبض بفرح لا عهد له به ... ورغم انقطاع الاتصال معها منذ غادر بغداد ، مع أنه كان بإمكانها الاتصال به ، ولو بصعوبة بوسيلة ما ، إلا أنها لم تفعل) رغم ذلك كانت معه دوما، في ليالي الشوق الظامئة . لم يتصل بأحد غيرها، وكان بإمكانه مفاتحة خزامي ابنة الشيخ حامد الأغبر باي نوع من العاطفة تحت أي ذريعة لعلها كانت سترضى بل قد ترحب، لكنه لم يفعل؛ لأنه وعد جويل وأحبها، ولأنه لا يخون الشيخ حامد، وقد كان معه صادقاً

وفياً ثم إنه لا يمكن جمع اشتين في قلب واحد - لكن جويل طيلة غيابه لم تتصل، سوغ لها فعلتها بصعوبة الاتصالات وخطورتها.

أو انشغالات العمل وعبء المسؤولية، هو أيضاً لم يتصل لكن فعله مسوغ، لأنه من الصعوبة التي ترقى إلى استحالة الاتصال بها، بينما تقدر هي على ذلك. المهم الآن انقضت وولت الأسابيع القاحلة الجافة، وحل يوم اللقاء، ستصل إلى بيروت في العاشرة، وسيكون في استقبالها مع انطون شركس، وأبي ارز وزوجته سعاد التي صارت تعمل في المحطة الرئيسة الفضائية أنطون شركس .

وخطر له خاطر ... أما مازال القناقي في بيروت؟ وإذا كان في بيروت هل سيكون مع المستقبلين؟ إن انطون شركس وأبا ارز وأسرته لا يعلمون شيئاً عن مكان وجود القناقي، ولا يعلمون الخفايا الغامضة، التي يقوم بها تحت جنح الليل. لم يدر بخلد ياسر وشركس، أن أعمالاً تنسق ما بين جويل والتنافي ستسفر عن محطة فضائية جديدة، ستملكها جويل ظاهرياً وهي في الحقيقة

ملك القناقي . وعن صحيفة ستظهر للنور باسمها، ولا تقل أهمية بمعداتها وتجهيزاتها الفنية والإلكترونية عن صحيفة شركس أيضاً، ستكون أعظم، لأن مالاً غزيراً سيد عمها وينشئها هو مال القناقي، الذي كان مخبأ في سرداب الدير، والذي غيره منذ انبهرت بمرآه، وكان عندها استعداد لم تكن لتكتشفه، إلا في ذاك المكان المظلم .

في التاسعة ، كانوا جميعاً بسيارة انطون شركس (الستيشن)

الحديثة والتي تسع ثمانية أشخاص كان أبو أرز متفائلاً، وكانت زوجته سعاد تعلق ابتسامة حزينة على سحنة جميلة خجولة بائسة لم يستطع الزمن محو مأساتها، اما ياسر فقد انقلب إلى طائر يرقص من الفرح، لكنه أخفى سروره بصمته وترقبه ما اروع اللقاء بعد غياب أسابيع أمضه الشوق فيها ويرح فيه الحنين

ها هي الآن تطل من بوابة الوصول فارعة انيقة مثلالثة كشجرة كرز بريقها يسبقها، ووهج ألقها وجمالا يسعى بين بديها مسطع نور فأضاء لم يعرف ياسر مصدره، إن القها موشور ماسي، يعكس الضياء حيثما وجد كان يحيط بها اثنان من عناصر المحطة وقد حضرا معها. في هذه اللحظة، أجال ياسر ببصره في المكان كـــ(رادار).

فوجئ بظهور القناقي مع اثنين من مرافقيه يقفان خلفهم ماذا جاء بالقناقى الآن إلى هذا المكانة وكيف عرف بمجيء جويل؟ هل هي من أخبرته يا ترى؟ أم أنه علم بوسائطه الخاصة، وهو ضابط المخابرات العراقي السابق، الذى يتتبع الطريدة أينما تحركت، فلا تغفل عينه عنها حتى يفترسها. انقبض قلبه وشعر بضيق لم يعرف سببه أتبلغ الغيرة بالمحسب درجة يستشرف فيها الأحداث القادمة؟ أم أن ذلك أنانية العاشق، الذي

يخاف من النسيم على معشوقته؟

تقدم القناقي منهم وسلم على المجتمعين باقتضاب، لينبههم إلى وجوده، وليذكرهم بأنه قد انضم إلى ركب المستقبلين، وصلت جويل فصافحت أنطون شركس وعانقته ثم صافحت أبا ارز

وزوجته (سعاد). أخيراً وصلت إليه... خفق قلبه وتغيرت ملامحه اعتقد أنها سترتمي على صدره وتقبله من شفتيه أمام الحضور، ولم لا فالحب يفرض نفسه على الجميع لكن عكس ما توقع حصل فقد صافحته مصافحة صديق الصديق قائلة:

كيف حالك دكتور ياسر ؟

كان السؤال بارداً إلى درجة الصقيع، ومذهلاً إلى درجة الإحراج .

اعترته رعشة باردة فلم يدر ما يقول لكنه أجاب:

الحمد لله على سلامتك .

تركت بده و واتجهت إلى جبور القناقي كان جبور متلهفاً إليها، لكنه كان متصنعاً الهدوء واللامبالاة على طريقة السياسيين، عندما يحتاجون إلى (البروتوكول) في لقاءاتهم، عادة ما يضعون أقنعة شمعية. أما هي فقد ارتمت على صدره، وقبلته في وجنتيه فرحة. فاستسلم القناقي الحميمية اللقاء، وانفرط عقد الصمت والتكلف الدبلوماسي، والمصانعة المراثية فانفرجت أساريره. وقال جملته التي سمعها الجميع

- كان لغيابك ألماً ممضاً وشوقاً مبرحاً - انت عنصر هام في حياتي.

فوجئ الجميع بتصرفهما . وأدرك ياسر أن أمراً ما قد حيك في الخفاء. وأن تغيراً ما أساسياً قد حصل فليمض إلى آخر الشوط

وليتتبع ما جرى فإن ما جرى عظيم، قد يكون مأساة ستحل به وإذا ما تحولت وغيرت الزوايا، فانحرفت سيكون ذلك ام الكوارث

التفتت إلى المستقبلين جميعاً وقالت:

- اشكر حضوركم أيها السادة، هلموا بنا إلى صالون الجريدة لترتاح من عبء مهمة خطرة لكنها لذيذة، لقد اشتقت إلى قهوة الأستاذ انطون، وإلى ذكرياتي الحلوة سأركب أنا في سيارة الأستاذ جبور، وتلتقي عند مبنى الجريدة.

استغرب انطون شركس واندهش فالمفروض أن تركب إلى جواره في سيارته الأكثر اندهاشا وتعجبا وألما؛ هو ياسر الخوخة

مع غيرة بدأت تنهش قلبه وقال في نفسه :

(من هو جبور القناقي حتى تفضله وتميزه عن زملائها ورب عملها، فتركب في سيارته وتتركهم ؟)

بقي ياسر طوال الطريق من المطار إلى مبنى الجريدة صامتاً. وأنطون شركس نفسه لم يتكلم كثيراً، ما عدا بعض أسئلة

للفنيين الاثنين اللذين ركبا معهم في السيارة. وصلوا إلى مبنى الجريدة، تذكرت جويل أياما قضتها مع ياسر في المبنى، يعدان المقال الأسبوعي، ويتناقشان في أمور الحياة يحكي لها همومه شاكياً الظلم الذي لحقه من طمع وجهل فقالت لنفسها :

كانت مرحلة بؤس راح وانقضى، والآن يلوح في حياتها أفق بلا حدود، إن القناقي الآن رجل المرحلة بلا منازع هو الجواد الرابح حتما في السباق، فلماذا الوقوف على الأطلال (5)

قال أنطون شركس، بعد وصول الجميع وترجلهم

لندخل قاعة الاجتماعات ونتناول القهوة.

جلسوا حول الطاولة المستديرة وجيء بالقهوة الساخنة

والكل يرشف صامتاً منتظراً الخطوة التالية، التي ابتدأتها جويل بالقول وهي تناول مظروفا بداخله أوراقاً ووثائق، وتسلمه لأنطون شركس

في هذه الوثائق والأوراق، تقارير دقيقة عن الأعمال والمشتريات والمصروفات وعن الوقائع التي مرت أثناء وجودنا هناك.

قال شركس:

انتم مدعون جميعاً مساء اليوم، إلى عشاء في الكولدن بيتش في التاسعة مساء.

سكت الجميع .... لكن جويل قالت :

اعتذر عن المجيء لأني مريضة، وبحاجة إلى راحة. وإنني أطلب

إجازة لمدة شهر، هي إجازتي السنوية المستحقة.

قال شركس :

موافق على الإجازة، ولكني أريد أن أعرف رغبتك في

العمل بعد انتهاء الإجازة، هل ستداومين مع ياسر في الجريدة؟ أم في

المحطة نفسها ؟

قالت :

سأدلي بقراري بعد انتهاء الإجازة .... دعني أفكر على مهل.

- انزعج أنطون شركس من الموقف المتعالى والفوقية الواضحة

في لجتها، فهو لم يعهدها كذلك من قبل، فما حقيقة التغيير الذي أصابها ؟ الحقيقة يعرفها جبور القناقي وحده، فهو الآن من يخطط ويقود هو المحب وولى النعمة في ذات الوقت، وهو آمدها بالكبرياء والثقة التي وصلت إلى حد الغرور، ولكن ما موقف

ياسرة الذي صمت طويلا وتألم كثيرا ، ثم قال أخيراً :

- جويل هل بالإمكان أن نجتمع معاً هنا في الجريدة، أولي أى مكان آخر التسوية بعض الأمور، أو لطرح بعض الاستفسارات؟

أجابته بجفاء نام اقترب من ضفة الزجر والاحتقار.

- أنا الآن غير مستعدة لأي إجابة أو استفسار، بعد شهر يمكن ذلك.

تكهرب الجو، وتوترت الأعصاب، فقال القناقي:

ندرك أنك مريضة متعبة. سأوصلك إلى بيتك في الحال.

- أكون لك شاكرة، اعمل معروفاً وأوصلني إلى البيت.

ثم أردفت القول:

اعتذر من الجميع، فليس على المريض حرج.

غادرت هي والقناقي وسط استغراب الجميع

وقال أنطون شركس

- سنؤجل دعوة العشاء إلى وقت آخر، فيبدو اننا جميعاً متعبون

خرجا معاً، ولما أقلعت سيارة القناقي بهما، أطلقا ضحكة مدوية، وقال لها :

لقد أحسنت صنعاً، وكان أداء الدور موفقاً لقد حجمت الجميع بموقفك هذا وأروع صفعة كانت لياسر الخوخة.

أردت أن أقطع أي أمل له، مهما كان ضئيلاً في تواصل من أي نوع، ولعله صار يكرهني الآن، وأنا أسعى لذلك.

انت الآن في موقف القوي، ولن تحتاجي أحداً من أولئك.

بل هم سيحتاجون إليك، أو يسعون لطلب عمل عندك لقد تصرفت كما يفعل الأقوياء.

- أين تقطن الآن، أفي الفندق؟ أم استأجرت داراً؟

- لا هذا ولا ذاك لقد اشتريت بناء ضخماً، مؤلفا من أربعة

أدوار، وقبو بمساحة أربعمئة متر، ليكون مقراً للمطبعة بقية

الأدوار المكاتب الجريدة. أما الطابق الرابع فهو لسكننا.

- هل سنسكن في مكان العمل نفسه؟

- هذا أفضل لأن يقلل من حركتنا في الخارج علينا الحذر

ولنا أعداء يتربصون بنا، لنقلل من الحركة خارجا ، وهذا من

ضرورات الأمن. فهو يجعلنا نخفف من استخدام السيارة التي قد تفخخ. ثم لكي نشرف الإشراف الكامل على العمل ونكسب الوقت.

وماذا عن موقع محطة البث؟

- لم أنس ذلك ولقد عثرت على مكان مرتفع، ومبني يصلح ليكون مركزاً لمحطة فضائية فاشتريته، إنه في إحدى ضواحي بيروت وكل تلك العقارات سجلت باسمك أنت. لقد أفادتي التوكيل الذي عملتيه لي في السفارة ببغداد في كل الذي جرى الآلات والمطبعة جاهزة، والمكاتب مفروشة، ولم يبق سوى التراخيص الإدارية وعليك عبء إنجازها ودارنا التي سنسكن فيها؟

أصبحت مفروشة ولا ينقصها شيء، سترينها بعد قليل.

ووصلا إلى مكان قريب من (الروشة) فأراها البناء الضخم من الخارج وبعد ذلك أطلعها على التفاصيل وقد شاهدت آلات المطبعة في القبو، وهي جاهزة للعمل، ثم وصلا إلى الطابق الأخير حيث مقر سكنهما كان مطلا على البحر، مزداناً بديكور بديع وفرش جميل أعجبت بالدار الرحبة ذات الغرف الكبيرة الزاهية كل شيء فيها جديد لامع : وأكثر ما أعجبها الإطلالة البحرية

شربا كوبين من العصير قالت:

- أظن أنك اتفقت الكثير فيما اشتريت

ستحصل على الكثير إن سار المشروع كما أخطط، وتعوض

كل ما أنفقنا، هذه هي البداية، لكن طموحي ليس له حد

وماذا عنا نحن؟

سنتزوج خلال هذا الشهر، ونقيم حفلة تكون حديث بيروت

السنوات، بل سيضرب فيها المثل في الفخامة والبذخ

- لماذا لا يكون ذلك بحفلة متواضعة، وبدون علم وسائل الإعلام ؟

- إن زواجنا تحت الأضواء، وبدعوة وسائل الإعلام، سيشهرنا في الوسط السياسي والإعلامي والفني، ويساهم في نجاح عملنا القادم

- الا يؤثر ذلك على عملك في المقاومة ؟

لا أحد يعرف انت أقود مقاومة لقد استلم أبو الحارث النضال العسكري، وسابقى في بيروت أقوم بالعمل السياسي من أجل القضية.

تناولا طعاماً جاهزاً، وشربا كأساً، ثم قال:

أن لنا أن نفرق في الأحلام والعواطف، وتشحن الروح بالرغبة فانت من الآن زوجتي، ثم أمسك بيدها، وقادها إلى غرفة النوم.

تفرق المجتمعون في قاعة الجريدة، وبقي أنطون شركس وحده

وهام ياسر على وجهه، وقد شعر انه قد تلقى طعنة في خاصرته. إنها الخيانة ذاتها، من أجل الهدف نفسه: المال والمنصب) لكنه لا يتحقق إلا على أكتاف الآخرين ومآسيهم، فما العمل الآن ؟ هل يلعق جراحه ويصبر، وما الصبر؟ اليس حيلة العاجزة لقد صبر السنين، وها هو الآن يدخل الكهولة، وستعقبها الشيخوخة الباردة

الواهنة، لابد أن هناك حلا آخر ومن سعى وفتش ودقق لا يعدم الحل

و دخل دارة جورجيت، وقد أصبحت امرأة أبيه، ووجد عندها

فيضاً من حنان مثل حنان أمه أو يكاد يستطيع أن يعترف لها

بكل شيء بل يجتر آلامه أمامها متلذذاً. لقد أصبح (مازوشيا)

يتلذذ بآلامه التي أدمنها كالأفيون.

وفي غياب ابيه فاتحها بكل الذي جرى بينه وبين جويل حكى القصة كاملة من قبو النبيذ، حتى آخر لقاء في مبنى جريدة انطون شركس، استمعت إليه بكل جوارحها، وعندما صمت منتظراً منها جوابا، قالت:

أنت محظوظ.

أنا محظوظ لماذا ؟ هل لأنها خانتني؟

لقد كشفت أوراقها من لحظة البدء، الخيانة المبكرة أقل سوءاً من الخيانة التي تأتي بعد زمن طويل من الصداقة، أو الحب فضررها أقل الزوجة بطانة الرجل وقرينه، وليس أسوا للرجل من قرين السوء، إنه شيطان حقيقي بل أسوأ من الشيطان في البدء يخدعه ويضلله، ويظن أنه يحسن صنعاً، ثم ما يلبث أن يكتشف الخديعة فيقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين، فبئس القرين.

المال والجاه، إنهما ذلك الطلسم السحري الذي يغير الإنسان ويقويه.

في جيناتنا خبايا لا ندركها، تكشفها الأيام. يصفها علماء النفس بالمنطقة المظلمة أو اللاشعور أو العقل الباطن الذي يحركنا نحو رغبات مكبوتة مقموعة، إننا لا ندرك سببها، إنها عقدنا

الموروثة، وعقد نقصنا وكبتنا لأشياء كان يجب الا تكبت.

لقد قرأت كل هذا وكنت أثق بجويل التي تحمل الأهداف نفسها، التي آمنت بها. إنها تكره الرأسمالية، وتحب العداء كانت بالتوجه نفسه، وفي الحزب نفسه، كنا نسعى لتحقيق الحب والسلام، لا الغدر والانتقام

- تكره الرأسمالية نعم ولكنها تحب أن تكون غنية ورأسمالية لنفسها فقط يعني تحب لنفسها ما تكرهه في غيرها إن التركيز على المادي فقط هو ما يؤدي إلى ما وصلت إليه جويل لا بد من إيمان روحي بمثل راسخة يقينية الثبوت كالكبرياء والتعفف كالصدق والإرادة

- بعض المؤمنين أشد حباً وتولعاً بالمال من الماديين

نعم وقد أجبت عن التساؤل بكلمة (بعض). إنه الاستثناء الذي يثبت القاعدة

- لكنتي الآن توصلت إلى أن المال سلاح لا يمكن لكثير من الناس، أن يقاوموه، بل يستسلمون أمامه لقد استسلمت جويل المال القنافي، وليس لشخصه فهل أدرك ذلك؟

جويل الآن هي مدماك في بناء بهندسه القناقي لا تظن أن التناقي مثلك تدهمه العواطف، ويستسلم للأحلام. إن له جوعاً مخيفاً إلى السلطة لا أدري هل يحمل مثلاً راسحة أم لا؟ إذا كان خاوياً منها، فهو قد يضحي بكل شيء في سبيل مصالحه،

حتى بجويل نفسها.

من أدراك بذلك؟

لقد مرت بحياتي نماذج مشابهة فالابن يقتل أباه من أجل

السلطة أو المال لذلك كن واقعيا، وستجد الأفضل والأجمل مرا حدثي عن خزامى ابنة الشيخ حامد الأغبر، وكنت تلقيها دروسها، فأعجبت بك، وأنت كذلك.

- لا اذكر هذا، ولكن حتى يزدهر الحب وينمو، لابد له من لقاءات وبوح وحميمية لا تزدهر النبتة إلا بالماء والضوء وابنة الشيخ لا تسمح بذلك كما أنني أنا شخصياً لا أفعل هذا مع ابنة الشيخ الذي كان صادقاً ووفياً لي لذلك استبعد الأمر حالياً على الأقل.

عاد الأب من الخارج، فدخل إليهما وهما يتحادثان، قال:

جيد أنني وجدتك الآن يا ياسر، هناك أمور حدثت لابد من مناقشتها معاً كنت منذ قليل عند محام مشهور، يرافع في بلدان أوربية وقد عرضت أمامه الفاجعة التي أودت بزهير أخيك، وتباحثا في تركته، ولمن ستؤول إليه الشركات والأموال واتصل بشركة الطيران التي كان على متن إحدى طائراتها المرحوم، وتبين أن

زوجته ازدهار ابنة يونس الخوخة، كانت معهما أيضاً، وهي من عداد القتلى لذلك لا وريت له سوى أنت وأنا وأن الشركة ستدفع للورثة أموالاً من التامين وأن حصتك من الميراث أكبر من حصتي وعلى العموم أنا متنازل عن ميراثي لصالحك وصالح اولادك وأردف أيضاً

إن على أحدنا الذهاب إلى رومانيا مع المحامي، لاستلام الشركات والأموال المحامي سيكون المرشد وسيتقاضى عشرة بالمائة من أموال التركة وأنا أرى أن تذهب انت وولداك إلى رومانيا

المتابعة الأمر فتسجلهما في إحدى جامعاتها ، ليدرسا هناك الاختصاص الذي يرغبان فيه وتبقى معهما لإدارة أموال التركة التي أصبحت أموالك لفترة قصيرة على الأقل ثم تعود.

لكن ليس من حقي أن يكون لي كامل الميراث

أنت الآن ابني الوحيد، وستحتاج إلى المال لتعليم ولديك لقد بدأت

حياتك (بروليتاريا) وستنهيها رأسمالياً .. وضحك

لكن ياسر لم يضحك ففي كلام أبيه نظر لماذا لا يكون كالقناقي، بل ربما يصبح أكثر منه مالاً وولداً لقد أصبح القن في غريمه، ودخلا حلبة التنافس، وقد أعطته الحياة فرصة فليغتنم تلك الفرصة، وليعد لغريمه ما استطاع من قوة فالحياة معركة من أول يوم فيها، حتى آخر يوم. ومخلوقات الأرض تتنازع على البقاء، والقوي هو السيد والضعيف هو الخاسر، وما فائدة الكفاح من أجل الفقراء إذا كانوا هم أنفسهم يخونون طبقتهم

حين تحين الفرص الم تحن جويل طبقتها ومبادئها قبل أن تخونه

فعلى من تنشد مزمورك يا داود؟ بالمال تشتري كل شيء كل

شيء على الإطلاق ألم يشتر التنافي جويل التي سقطت أمام صدمة منظر المال المخبأ في قبو النبيذ إن هذا المال يخص البنك المركزي العراقي يعني أموال الشعب العراقي فلماذا استأثر به القناقي بداعي الجهاد أو النضال أو التحرير كلها مسوغات لذر الرماد في العيون أما الحقيقة فهي لشراء الأمجاد والنساء .. أين مبادئك با جويل واين نضالك الطبقي؟ وأين الالتزام بالبروليتارية).

لقد تبخر كل ذلك بوهج المال المخزون في قبو النبيذ لماذا لا يتغير هو كما يتغير الآخرون - (سارين) تغيرت وباعت أسرتها من أجل منصب يتماهى مع المال العلاقة الديالكتيكية وحتمية انتصار البروليتارية، ولكل حسب حاجته) كلمات لطالما تشدق بها في أكثر من مكان ولطالما تشدق رفاقه بهذه الألفاظ ومضعفوها كاللبان في فم غانية، ما أبشع تشدق الغانية بليانها تعقبه فرقعة مقرفة، كره كل تلك الألفاظ التي أفرغوها من معناها ، سيصبح أغنى من الجميع وها هي الحياة تقف إلى جانبه سيفرح الشيخ حامد بهذه المنطلقات الجديدة، فعلى هذه الأرض وحتى نهاية العالم سيبقى (غني وفقير)، (ظالم ومظلوم)، وحكاية الفردوس الأرضي هي أفيون الشعوب الجائعة ، فانتظر يا قناقي، إنك لن تذهب بعيداً.

قال لأبيه :

فكرة ممتازة، والمهم أن ولدي سيدرسان باشرافية وتحت رعايتي وسأختار لهما أفضل جامعات رومانيا سانمي الميراث لكلينا ولن استأثر به وحدي

لقد أسعدتني بالموافقة وأثلجت صدري باستعدادك للسفر . وأرى أن تستقيل من جريدة انطون شركس من الآن بعد أن أرى المحامي، واستفسر عن الموعد، وعن الخطوات القادمة

على بركة الله.

(٢)

تقدم ياسر باستقالته من مؤسسة أنطون شركس، في الأسبوع نفس الذي تقدمت فيه جويل باستقالتها، حتى ظن شركس أنهما على اتفاق ربما ظن أنهما يبيتان أمراً، لكن الحقيقة غير ذلك تماماً

وقد سوغت لأنطون الاستقالة، بسبب نيتها الزواج من جبور القناقي، وأنها ستتفرغ لبيتها وأسرتها بعد زواجهما، وكانت بذلك كاذبة : لأنها أخفت نصف الحقيقة، فغايتها مشاركة القناقي في الصحيفة والفضائية، أما ياسر فقد أعطى جوابه صادقاً، وقال: إنه سيسافر إلى رومانيا مع المحامي، لتصفية تركة اخيه زهير وإدارة الشركات الموروثة.

وقال له شركس:

سأقبل الاستقالة على أن تعاهدني على أن تكتب مقالات للجريدة بين فينة وأخرى ونبقى أصدقاء .

فوعده شاكراً وتفارقا على حب . وعلمت جويل باستقالة ياسر فأرادت بغباء يراودها أحياناً، اقتناص فرصة تركه الجريدة

والفضائية التابعة لأنطون، لضمه إلى فريق جريدتها وجعله أحد موظفيها. وقد سمتها (بابل) بناء على رغبة القناقى فاتصلت بياسر قائلة :

اعتذر منك على تأخري في الاتصال بك، فلقد كنت مريضة كما أخبرتكم بعد وصولي من المطار، وقد علمت الآن أنك قد استقلت من الجريدة والفضائية، ولا أكتمك فأنا قد رخصت باسمي صحيفة سياسية يومية باسم (بابل)، ستصدر قريباً، ويشرفني أن تنضم إلينا، فتعمل معاً للأهداف نفسها، التي عشنا لها.

استاء ياسر من وقاحتها، لكنه كتم غيظه قائلا :

من أين لك المال؟

في الحقيقة الممول الرئيس زوجي جبور القناقي والفضائية والجريدة ملكه، وخطهما يدعم الحركة الوطنية في العراق فلتكن أيدينا يداً واحدة لتكون الصحيفة دعما لأهدافك، التي آمنت بها وكرست حياتك لها.

خرج ياسر عن طوره، وأدرك خيانتها واعتراه اشمئزاز من

تهافتها فقال:

- لا يشرفني أن أعمل مع خائنة تافهة مثلك باعث نفسها ونكثت

بوعودها، كأي مومس حقيرة

فوجئت بالرد القاسي، الذي جاء من ألم عاناه على مدى أيام لا تنسى كان يعلق على ذاك الحب أمالاً في حياة سعيدة قادمة، لكنها دورت الزوايا، وظنت أنها تتقن لعبة الزوايا المدورة لعبة أكبر منها، ولكن النتيجة ستكون الخسران المبين، فقالت بحدة تنتقم

للإهانة الجارحة ستدفع ثمن قولك هذا غاليا أيها الأبله، لقد أمضيت عمرك تحت تأثير زاويتك الضيقة، التي تجاوزها الزمن، تجتر الألفاظ كببغاء ويتجاوزك الزمن ضاحكاً عليك والأدهى أنك ما زلت مصراً على غبائك وبلادتك.

تألم من ردها واعتبره أقسى من خيانتها ، تلك الخيانة التي تمت بإصرار وتخطيط سابق محكم، وأنها استغبته فغدرت به والذي آلمه أيضاً أنها أغلقت الهاتف بوجهه، دون أن تدعه يجيب على إهانتها ، فيرد الصاع صاعين سينتقم منها يوما بقسوة وذكاء، لا يخطر على بال وسيستخدم سلاحها الذي حاربته به نفسه، بل بكل الأسلحة المتاحة، فالآن قد بدأت في حياته معركة، وعليه أن يستعد لها، ويحشد كل القوى وحينما حكت الأمر لزوجها جبور، قال:

هل تريدين أن أضع في سيارته متفجرة تودي بحياته؟

ندم على تسرعه بهذا القول، لأنه يعرف أن زوجها الأول، قتل بذات الطريقة المخابراتية، التي شاعت في هذه الأيام، وقد ذكرها بالقاتل فوضع نفسه على درجة أو مستوى واحد معه ، ولكن الكلام خرج وليس بالإمكان سحبه. ويبدو أن أسلوب المخابرات في كل أنحاء المعمورة هو نفسه، ولدى كل الأطراف أما هي فقد حزنت و استأت، بل كرهته في تلك اللحظة. وأجابته:

- لا تضع نفسك على أرضية مشتركة مع القتلة. فانا عهدتك مغايراً لهم

صمت وقد عرف مقدار خطئه، وحاول لفلفة الموضوع، فأجابها:

اعتذر. لم يكن القصد هكذا لكن كلامه عنك قد ألمني، لأنه مس شرفي

قبلت اعتذاره، فقال لها مغيراً الموضوع:

- أصبحت التراخيص جاهزة، والكوادر مكتملة، وسنصدر الأسبوع القادم أول عدد من الصحيفة، إنه العدد صفر وسيكون مميزاً، وبعد أسبوعين نقيم حفلاً أسطورياً ، يكون حديث بيروت كلها، نضرب به عدة عصافير بحجر، وسيكون ذلك أكبر صفعة توجه إلى ياسر الخوخة وغيره من الحساد الناس يعرفون من الآن أننا زوجان، وأنا أخبرت ياسر بهذا لأزيد غيظه لا يمنع ذلك من إقامة الحفل

وبالفعل فقد صدر العدد الأول من صحيفة بابل، وأحدث ضجة في الأوساط الإعلامية والسياسية فقد كان الأمر مديراً بعناية. وبعد أسابيع أقاما حفلهما في أفخم الفنادق ودعت هي الإعلاميين والسياسيين في بيروت، وحضره الأصدقاء والمعارف وكان حفلاً

أسطوريا تكلم عنه المجتمع المخملي على مدى أسابيع . وقد علم ياسر بالأمر فكان ذلك اليوم، أسوأ يوم في حياته، لكنه قال في نفسه: (يوم الانتقام قريب، وسأعلمها أصول تدوير الزوايا المرعبة)

وبعد أيام بدأت محطة بابل بالبث، وتركت صدى واسعا في الوسط الإعلامي لأنه أعد لها بإتقان ودقة أيضاً، واستطاع القناقي ان يوازن ما بين عواطفه ومصالحه، وأن يكسب قلبها فتحبه كما عملت هي على بناء ثقة راسخة بينهما مما دعاه إلى أن يبوح لها ببعض أسراره

- لا اكتمك فأنا أعمل لأن أكون حاكم العراق يوماً.

تعجبت وكانت تظن أنه يطمح إلى وزارة أو إلى منصب الوزير الأول، لكنه قال (حاكم العراق) - فيا لحسرة العراق (كم طمع به اناس لامتطائه، وهو ما يزال جريحاً، وبعضهم حاول اقتسام جلد الدب قبل صيده وبعضهم عذر (صدام)، وترحم على أيامه لأن من هم أقل منه بكل المقاييس قدرة، حاولوا تقليده، واستعانوا بعدو؛ وهم الأقزام فأين الحرية التي زعموا أنهم جاؤوا لتكريسها، ويبدو أن الأمر على مبدأ : (قم لأجلس مكانك)، لا لأجل الحرية، ولا الديموقراطية ولا ما شابه من الفاظ

على كل القناقي معذور. فهو لم يأت على ظهور الدبابات الأمريكية، وكان ضابطاً سابقاً، ثم سياسياً، مع أن بعض من أتوا على ظهور الدبابات باعوا شعبهم ووطنهم، فيا لسخرية القدر.

في هذا الوقت، كان ياسر يجهز نفسه للسفر مع المحامي إلى رومانيا، سيدرس الأوضاع هناك ويقرر على ضوء ذلك استقدام ولديه أو إبقائهما في بيروت فسوريا قامت فيها مظاهرات واضطرابات، ثم تحول الأمر إلى نزاع مسلح فمن الحكمة أن

يسعى في رومانيا إلى جامعة يدرس فيها ولداه. ولقد أخذ درسا من حرب العراق، فلقد نجيا بأعجوبة. ولولا القناقى لما اهتدى إلى مكانهما. فليغير التوجهات حسب الظروف والإمكانات.

لكنه لم ينس زيارة الشيخ حامد الأغبر، وإن كان لم يدل له بكل ما جرى بينه وبين جويل بالتفاصيل الدقيقة. وإنما كان الأمر تلميحاً، وإنه يشكو من الوحدة وغدر الأصدقاء، بعد أن انفض الناس من حوله وخانته زوجه ثم تكررت مأساته عندما تركته جويل والتحقت بالقناقي من أجل المنصب والمال. لقد كانت في يوم ما معقد الآمال والأحلام وصعب حاله على الشيخ وتأثر الظلم لحق بإنسان طيب فقال:

- ابحث بالقرب منك ... تجد من تحب. قد تكون السعادة أقرب شيء منا ولكنا لا نبصرها.

تذكر ياسر خزامى ابنة الشيخ وظن أن الشيخ يلمح إلى لذلك.

ثم حدثه عن تركه العمل في جريدة وفضائية انطون شركس بسبب السفر من أجل تصفية تركة أخيه. فبارك الشيخ هذه الخطوة وقال:

- لقد عاد المال إلى مستحقيه، وإلى المجرى الحلال عليك يا ياسر، اتباع الحق فما ضل من استمسك بالعروة الوثقى والميراث حق فلا تقبط أولادك حقهم. كما أن لأبيك نصيبه.

قال ياسر:

هل مستبقى يا مولانا ، في لبنان؟ أم ترجع إلى بلدك سوريا 28

وقد صدر عفو عن الجميع؟

- لا اكتمك الأمر، لقد جاء وفد من علماء الشام، زاروا بيروت ثم عرج رئيس الوفد إلى مسجدي، سلم وجلس، ثم قال:

- أريد أن أذهب إلى بيتك يا شيخ حامد، وأشرب عندك

القهوة وأسر إليك بأمر هام، والمكان هنا غير مناسب.

- على الرحب والسعة.

تابع الشيخ حامد حديثه لياسر

- ذهبنا إلى البيت واستقر بنا المقام، قلت له هات ما عندك

أخبرني الأمر.

قال:

- أولو الأمر في دمشق يرحبون بعودتك بعدما تبين لهم افتراء الدكتور مصعب الأردغلي عليك، وعلى بعض إخوانك من الذين سرحوا أو هربوا أو اعتقلوا لقد كان الأردغلي مخادعاً بل لمساً -فبعد أن استلم الوزارة أعلن أنه سيدخل تحسينات في المساجد وقرر بيع السجاد القديم في كل مساجد القطر، واستبداله بسجاد حديث أزهى وأبهى

- قلت له وما الضير في ذلك؟ وماذا يمنع؟

قال رئيس الوفد:

تبين أن في الأمر حيلة ودهاء خبيثين لأن أسعار السجاد القديم، في كل أنحاء العالم، تساوي مئات الملايين من الليرات وقد تنوف على المليار لأنه على الأغلب سجاد تبريزي إيراني أو صوفي

أفغاني باهظ الثمن. والسجاد مثل الذهب كلما قدم زاد سعر عمل الأردغلى محضر إتلاف أصولي. ولكنه لم يتلف السجاد بل باعه بواسطة اتباعه للخارج ويقال بأن الثمن تجاوز المليار فاخته هنيئاً مريئاً وأدخله في ذمته، وكما يقول المثل العامي (ولا من شاف ولا من دري). واستورد سجاداً مصنوعاً من الجوت والقنب زاهيا وملونا لكنه بخس الثمن، وعلمت هيئة الرقابة بذلك، فجردوه من مناصبه وهو الآن حبيس بيته الآن حصحص الحق يا شيخ حامد، أرجو أن تعود إلى بلدك لأن منصباً هاماً ينتظرك.

- بم أجبته يا مولانا.

اعتذرت منه، وقلت: بأنني لا أؤمن بالمناصب الذي تأتي لرجل الدين عن طريق جبته وقفطانه فرجل الدين مكانه المسجد أو الكنيسة، ليأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، لا أن يركب السيارات المطهمة، ويتاجر بأموال الأوقاف ويستفيد من الميزات،

ومن أكل من خبز السلطان عليه أن يضرب بسيفه أيضاً. فرجل الدين سيسوغ الأخطاء إن سلم مركزاً أو منصباً وسيدافع عن الباطل، ليثبت ولاءه لولي نعمته. قلت له :

- صديقي ياسر الخوخة، يقول: يجب فصل الدين عن الدولة، لأن تدخلها في الدين يفسده، ولأن الدين إن سخر المصالح الدولة يدجن ويقزم، وقد وجدت في رايه محل نظر

قال رئيس الوفد:

أتريدنا يا شيخ حامد، الا تعمل بشرع الله؟

- لا أقصد هذا، لكني أقصد أن تأليف أحزاب دينية، أو طائفية أو مذهبية تفتت المجتمع، وتجعله أفراده متناحرين

قال رئيس الوفد :

صدقت يا شيخ حامد، وهذا هو الفهم الصحيح للدين وليس ما يحدث في العراق اليوم من تناحر المذاهب والطوائف التي أوجدها المحتل وغذاها، إلا دليل على صحة منطلقاتك.

قال ياسر:

أهكذا قلت له ؟ أعني : باني صاحب فكرة الفصل بين الدين والدولة؟

نعم أليست هذه فكرتك؟ ومن الأمانة العلمية الإشارة إلى مصدر الفكرة؟

وهو ماذا قال؟

قال إن ياسراً قد ظلم، وأسند إليه جرم لم يقترفه، وهو رجل نظيف، وهذا رأي أولي الأمر فيه.

قال ياسر:

وآلام آل اجتماعكما.

إزاء إصراري، قال:

العرض مفتوح، ومرحب بك في بلدك في أي وقت تريد سانقل رأيك إلى أولي الأمر.

ورغم كل ما قاله الشيخ حامد الأغبر ، فإن ياسراً كان قد اقتنع بأن يتحول إلى الضفة الأخرى ليصبح رأسماليا، لا واعظا ولا طالب مبدا، فمن النقيض إلى النقيض تحول برد فعل سببيه خيانة جويل وقبلها سارين، لقد صمم على تدوير الزوايا، بعد أن سبقته هي إلى تدويرها أحياناً تدفعنا العواطف، وارتدادها إلى مواقع بعيدة عن الحكمة، لم نكن لنتوقع يوماً أننا سنصل إليها. ويوما ما ستدرك جويل معنى كل ذلك وتدفع الثمن. إن

المال حسب منطلقات ياسر الجديدة، يفعل الأعاجيب ويغير الناس والأشياء بطريقة سحرية. وإن الإنسان مهما تشدق بالمثاليات وأوغل : الوعظ بترك السعي تجاه المال، فإنه في حقيقته راغب فيه ومن هذا الباب يأتي التحول الذى غالباً ما تكون ثمرته الخيانة لمبادئه ومثله.

على المرء أن لا يكون فكراً ارتداديا مصدره رد الفعل والا يتخذ موقفا مصدره الانفعال، وهذا التحول الذي جرى لياسر مصدره موقف جويل منه وقد أحبها، لأنها انحازت للمصلحة والمنفعة، قداست على أجمل ما تكون لديه من عواطف.

استمتع بحديث الشيخ، وانتشى بإطرائه، لكنه ودع الشيخ حامد الأغبر، غير مقتنع بما قال لأن القول شيء، والواقع شيء آخر، ومن الآن قرر أن يكون واقعياً، وعليه أن يسعى إلى لانتقام.

ترك الشيخ، وسافر مع المحامي لتصفية تركة ضخمة، لا يعرف مقدار حجمها. وسيذهل من الأرقام الفلكية لتلك الثروة التي هبطت عليه من السماء. وقد اقتنع تماما أنه سينتصر بالمال الموعود، وبه سينتقم وأنه سينميه ويكثره بشتى الطرق، وبكافة الوسائل، فالغاية الآن تسوغ الواسطة غايته إركاع المتعاملين معه وحتى الأحباب والأصدقاء أمام جبروت ماله بعد أن احتقروا طيبته وصدقه ووفاءه كما اعتقد وبالنسبة لنصائح الشيخ حامد الأغبر فلقد بقيت وستبقى حبيسة جدران المسجد. كما بقي وعظ الأب أنطون حبيس الكنيسة. وعندما يخرج الناس إلى الحياة من المسجد ومن الكنيسة، فللحياة قانون آخر هو قانون المنفعة، لا قانون الحب. إنه الأقرب لقانون الغاب. كيف تغيرت يا ياسر من النقيض إلى النقيض في هذه الحياة كل شيء ممكن الحدوث ولكن عليك الا تغادر طيبتك التي هي أثمن ما تملك. فهل ستدرك ذلك وتعود ؟

ذهب إلى أبي أرز) ليودعه، ويودع (سعاد)؛ تلك الملاك الطاهر الذي دنس المحتل شرفها، وهشم نفسيتها، فاستقبلاه في بيتهم الذي هو بيته. قال له أبو أرز

إذا كنت تحتاج إلى بيتك فهذا هو، وإن كنت لا تحتاج إليه فعلي دفع الأجر. ولقد توظفت سعاد في فضائية أنطون شركس كما تعلم وأنا أتقاضى راتباً تقاعدياً، ونحن شاكران لك المعروف أنك أويتنا، وببيتك تزوجنا ، ولقد حملت زوجتي وستلد لي صبياً بإذن الله، حيث بشرني الطبيب بذلك، وسأصبح أبا أرز بحق وحقيق لأننا قررنا تسميته بـ (ارز)

قال ياسر:

البيت بيتك، وأنا مسافر إلى رومانيا لتصفية تركة أخي زهير ولن أخذ اجراً منكما، لأنك يا أبا أرز، خير صديق، بل انت اخ حقيقي وسعاد أختي وأمها بديعة أمي، ومهما فعلت فلن اوي جمائلهما. وامتد الحديث وتشعب فقالت سعاد :

-انت اخ ولست غريباً، لذلك سنطلعك على بعض الأسرار بعد

الإذن من زوجي أبي أرز .....

قال أبو ارز:

كنت سأكلمه بنفسي عما أعاني، فأنا في أوقات معينة أجد نفسي غير نفسي. قد تجد هذا الكلام غريباً، ولكنه حقيقة أعيشها، لابد أنك قرأت عن الدكتور هيجل ومستر هايد شخصان في جسد واحد ، أنا أصبحت كذلك، وكل ذلك بسبب المأساة التي عشناها معاً. وحتى يوم زواجنا كانت المصيبة أكبر فقد كنت اتخيل الجندي الأمريكي الأسود، وهو يغتصب (سعاد) أمام عيني، فاصبح شخصاً آخر يريد الانتقام أتخيل نفسي ذنباً جائعاً

من دهور، ومستعد أن افترس الجندي الأسود وأمثاله وأمزقه شر ممزق أحياناً أحطم بعض الأشياء، وأحياناً أخرى أقرر العودة إلى العراق للانتقام. هو يسرح ويمرح ويغتصب، ويدعي أنه جاء (بالديموقراطية والحرية، ولا ادري كم من الصبايا افترس وتركهن لآلامهن ومآسيهن.

- ألم تذهب إلى طبيب نفسي؟

قالت سعاد :

ذهبنا معاً إلى أشهر طبيب في بيروت، فقال: إن حالة من الانفصام المت به سماها (الشيزوفرانيا) المؤقتة، وأن سببها حادثة السجن والأهوال التي شاهدناها وبالنسبة لي قال: إن حالة من الاكتئاب تمني، فإذا تفاقمت فقد تؤدي إلى الانتحار وأن علينا العلاج، وما زلنا نداوم على عيادته لا تيأسا وسيأتيكما الولد، فأحسنا تربيته وبعدها تتلاشى الوساوس سمعنا أنك غادرت الجريدة، وكذلك فعلت جويل نعم لأني سأغادر إلى رومانيا، فأخي قد مات بحادث طائرة.

لقد علمنا بزواج جويل من القناقي، واستقرينا ذلك، كما

استغرب الكثيرون، وقد عرضت علي جويل كتابة زاوية أسبوعية في صحيفتها

لم أعد اتصل بها، وقد انقطع ما كان بيننا

أثرى أن العودة للقتال في العراق قرار سليم، ويشفي القليل فهذه الأفكار تعاودنا بين حين وحين.

القرار يعود إليكما، ثم ودعهما وانصرف

سافر ياسر، واستلم شركات أخيه وورث أموالا خرافية

واستدعى ولديه ليدرسا في أرقى الجامعات هناك، ولكن لا ليختصا بالطب بل بالتجارة، وإدارة الأعمال فقد قرر وبشكل نهائي أن يشكل شركة قابضة هو وولداه

واستمروا سنوات وسنوات وصار ياسر اليوم غير ياسر الأمس . لقد أصبح من أغنياء العالم. فقسا قلبه، وتمكن حب المال من نفسه لدرجة أنه نسي العواطف ونسي انه اكاديمي ومؤلف، فما قيمة كل تلك الأشياء إزاء المال وسلطته، وتخرج أولاده واستلموا شركات أبيهم، عاونوه في إدارتها. لكنه لم ينس الجرح الذى فتحته جويل في قلبه، فهو مازال ينزف، وما زالت فكرة الانتقام منها تقض مضجعه، وينتظر الساعة الملائمة للهجوم.

في هذه الأثناء، كانت صحيفة جويل تزدهر، وكانت فضائيتها تشتهر ولم يشأ القناقى أن يظهرهما كبوقين للمقاومة العراقية، إلا بشكل مستتر. وإن كانتا من طرف خفي تددان بالاحتلال وازدواجية المعايير.

وفي يوم قال جبور لجويل:

كم رصيدك في المصارف من المال الذي أعطيتك إياه؟

- انت تعرف أنه يساوي أكثر من نصف مليار دولار.... لماذا تسأل؟

المقاومة في العراق تحتاج إلى المال لشراء سلاح، ولأشياء لوجستية). وأنا مضطر أن أسحب منك هذا المبلغ برمته، ويكفيك الجريدة والمحطة.

امتقع لونها وارتبكت لدرجة الانهيار لكنها اعتصمت بالصمت، فقال لها :

- أراك غير موافقة؟

لو قالت غير موافقة؛ لانتهى كل شيء، بل ربما صفيت وعاتبت

نفسها : لماذا نسيت فيما مضى، أن ذلك اليوم ممكن، بل حتمي الحدوث 19 لم تحسب لمثل هذا اليوم حسابا وها هو قد جاء، فلا بد مما ليس منه بد. فاضطرت إلى الموافقة.

قالت:

المال مالك وكنت أنا الوكيلة عليه، فلماذا لا أوافق؟

في الغد ستنقلينه إلى حسابي

طبعا في الغد

في اليوم التالي تسلم كل الحساب، وانتقلت إلى حسابه الأموال ولم يبق الجويل سوى الجريدة والفضائية، وإن كان مردودهما لا يستهان به، لكنها شعرت وكانها شجرة خلعت جذورها من باطن الأرض مع الوقت عادت الأمور إلى طبيعتها لكن مردود الصحيفة قل ثم لحقتها الفضائية، فاقترحت جويل على جبور أن تدخل بعض العناصر الفنية إلى الفضائية، وكذلك إدخال برامج تمس الطالع والتبصير والسحر والحظ... فالناس يحبون هذا الأمر. وتزداد الجماهيرية والمردود من خلالهما ثم تكثر الإعلانات وهي موارد هامة لا يستهان بها، لوضع مياه تدير الطاحونة، واضطر زوجها إلى الموافقة، بشرط عدم الإسفاف اتصلت جويل بابي أرز، تطلب منه مختصة بالأبراج والحظوظ التقديم ذلك في الفترة الصباحية، فوعدها بالبحث.

وفي أحد الأيام جاءت تغريد الهبر، ومعها ابنتها جمانة، التي كانت تغني باسم ندى الصباح، وتعمل في كازينو الموج العاتي

وقد تعرضت لاعتداء من سكير شوه وجهها، وقتل زوجها وحاميها مزيد الخشن؛ ذلك اليساري الذي ترك النضال، والتحق بحماية الفنانات واهتدتا إلى منزل أبي أرز، وقد أصبح شاعراً مشهوراً في بيروت، والجميع يعرف مكان سكنه. وعن هذه الطريق اهتدت إلى بيته، فوجئ بحضورهما، لكنه سعد أيضاً بذكرى الماضي، وبعد الأحاديث علم أن (تفريد) تريد منه التوسط بعمل تعيش منه، هي وابنتها فقال لها :

هل تتقنين الحديث عن الأبراج والحظوظ وتستشرفين الغيب؟

لماذا تسأل؟

في فضائية جويل وظيفة شاغرة وهي تبحث عن موظفة تتقن ذلك، وأظن أن الأمر غير صعب، وأنتما لكما خبرة في ذلك لأن جمانة كانت نجمة، وتخرجت من استديو) المسابقات، الذي

كان يديره المخرج برهان..... تنهدت جمانة وقالت:

- نعم كنت كذلك، ولكنني الآن اتوارى واستر وجهي المشوه.

وعملت لها جويل دورة في فن التنجيم والتنبؤ بالمستقبل، ودورة في فن الإلقاء والرد على الاستفسارات وأخيراً توظفت في فضائية (بابل) وصارت في كل يوم تبصر للمشاهدين أبراجهم، بعد أن غيرت مظهرها، وغدت مثل أيام زمان

ومرة تشاورت جويل وتغريد، في عمل برنامج مسابقات للهواة في الغناء، فأرشدتها تغريد إلى عشيقها، أيام زمان المخرج (برهان) والذي كان يخرج برنامج المسابقات في (استديو) إحدى

الفضائيات، التي نجحت فيها جمانة وله باع طويل في اكتشاف المواهب، وتسخيرها مادياً، لصالح المحطة بعقود إذعان فاستحسنت جويل الفكرة، لأنها تعطي مردوداً مادياً للمحطة وبعد أسابيع كان المخرج العجوز برهان، يقدم على فضائيتها برنامج (كيف تصبح نجماً).

وكافا المخرج العجوز تغريد على معروفها هذا، على طريقته المعهودة، بأن وعدها بالزواج مجدداً. فصدقته مع انه في آخر وعد لها قد كذب ونكس عادت تغريد وابنتها جمانة تعاونها في الظل عادتا إلى الأضواء من جديد، ولم تعجب التغييرات الجديدة جبور القناقي ، لكنه وافق مضطراً فقد كانت المؤسسة تغطي بصعوبة مصاريفها لقلة المواد الدعائية والإعلانية، لكن مستوى المحطة، قد هبط وغيرت جويل تسميتها من محطة بابل الفضائية إلى محطة ggc، ظناً منها أنها قد أسبغت عليها لوناً عصرياً

ومسحة غربية، فازداد اشمئزاز القناقي منها، وحكم بتفاهتها وسخفها، وانجرارها نحو الربح الرخيص، حتى إنه فكر بنقل الترخيص إلى اسم أبي أرز، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة عن ذلك، خوفاً من حدوث مشاكل وردود فعل منها ، كل ذلك قلل من قيمة المحطة، وأجبرها على التراجع ولم يعد دفاعها عن المجاهدين مجدياً، لأن المشاهد لم يعد يثق بها، بسبب تفاهتها.

وزار أنطون شركس المحطة، واستقبله جبور احسن استقبال

وحضرت جويل فقال:

- انتم اصدقائي وإخوتي، والمحطة قد أصابها الفشل. انصحكم ببيعها.

انزعجت جويل، وأصابها الحمق، فردت

وفر نصائحك لنفسك، فنحن الآن في أوج النجاح، وما قولك هذا إلا لغاية في نفسك.

فانسحب أنطون منزعجاً، ولام جبور جويل على تصرفها الأرعن

وقال:

- بسلوكك هذا تخلقين لنفسك أعداء بل إنك تحولين الأصدقاء إلى أعداء

- ليكن فالرجل قد غار من نجاحاتنا وأظن أنه يطمع في شراء فضائيتنا.

- وماذا لو كان جاء ناصحاً، لقد صدرته بفظاظة؟

نحن غرماء مهنة، ومن غير المعقول أن يغار على مصالحنا أكثر منا.

واستمرت الفضائية BBC في الانحدار والهبوط، نتيجة سياسة جويل الخرقاء، ولحقتها الصحيفة حتى صارت الواردات أقل من المصاريف أي أنها تخسر.

(٣)

سافر جبور القناقي إلى الأردن، ليلتقي ببعض تجار الأسلحة والذخائر، وليصل إلى العراق بعد ذلك فيطلع على أحوال المقاومين بقيت جويل وحدها تفكر في الوضع المادي السيئ الذي آلت إليه الجريدة. وبعد يوم من سفر زوجها، جاء شخص إلى مكتبها يريد وضع مادة إعلانية دعائية في الجريدة، وقال:

- أنا مندوب إحدى سفارات قوات التحالف التي تحتل العراق

أريد وضع مادة إعلانية عندكم.

ما هذه المادة وما فحواها ؟

المادة تقول العلم نور والجهل ظلام

أصابها اندهاش مفرح وكادت تفلت منها ضحكة (هل هذه مادة إعلانية؟ وما الغرض منها وما مصلحة السفارة في ذلك؟

كتمت الأمر في نفسها، وأظهرت جدية مصطنعة، فسألت المندوب

ماذا تعني هذه المادة الإعلانية، وما الفائدة منها.

غايتها الحض على العلم فنحن شعب يسعى لنشر العلم

والحرية بين الأمم. ونحن بعملنا هذا، نقوم بعمل خيري وإنساني وسندفع مليون دولار إذا نزلت المادة في صحيفتكم لمدة شهر في الصفحة الأولى.

كادت تصعق جويل من الفرح هل هؤلاء مجانين؟ كانت ستطلب منه عشرة آلاف دولار كحد أقصى، ثم تتنازل وتقبل بخمسة، وها هو يعرض المليون فيا للغرابة ولكن إن صحت الصفقة فإن هذا المبلغ سيقيم الصحيفة والفضائية من وهدتها التي انحدرت إليها فأصبحت في الحضيض، ويكون حلاً إسعافياً جاء في وقته.

قالت:

هل انت جاد؟

- نعم يا سيدتي وإنني أحمل شيكاً مصرفياً باسمك تستطيعين صرفه الآن.

أعطاها الشيك. إنها لا تحلم والمبلغ مثبت فيه وباسمها ! إذن كل

شيء معد ومحضر حسب الأصول

قالت:

في هذه الحالة سأكتب عقداً أثبت فيه الاتفاق.

من حقك ذلك يا دكتورة جويل، وهذا ما كنت أنوي أن

أطلبه منك.

فكرت قليلاً في الأمر ... هناك بعض الريبة. يبدو أنه يعرف الكثير قبل أن يأتي إلى هنا، ولكن ماذا يضير في الأمر

إذا كنت بعد قليل سأقبض مليون دولار، وربما علم من موقعي وبريدي الإلكتروني الكثير عني، هذا ليس صعباً) كانت تساءل نفسها متفكرة ؟!

قال المندوب:

التوقع العقد إذاً.

ووقعت العقد، وهي تطير من الفرح. أما هو فقد كان ينظر إليها بخبث !

وبعد أن تم توقيع العقد سالته:

مادتك الإعلانية هي العلم نور والجهل ظلام اليس كذلك؟

بكل تأكيد.

- أعرف انك جنت ممثلاً لإحدى السفارات تضع الإعلان

ولكننا لمن ستنسب العبارة؟

- فرسان الهيكل).

اصابتها رجفة، وبدأ الشك يساورها أكثر فاكثر هذه العبارة سمعتها في الماضي، لكن لا تدري أين فسالته:

- من هؤلاء؟

- سيخبرك القناقي بذلك.

قالت في نفسها : (ليكونوا ما يكونون، المهم انني سأقبض المليون دولار)

واستلمت الشيك. وقبل أن يغادر قال

سلمي على زوجك القنافي أحلى سلام، سنلتقيه يوماً، وخرج.

لم تفهم قصده العله يعرفه، ربما أهو متبرع أراد كتم شخصه

ولكنه مندوب سفارة فكيف يعرفه؟ في الأمر سر

ذهبت إلى المصرف وقبضت الشيك.

أوفت الديون المستحقة، واحتفظت بالباقي عندما عاد جبور من رحلته التي اختصرها، ولم يتمكن من الذهاب إلى العراق قصت عليه ما حدث فتغيرت هيئته وغضب، لكنه ظل صامتا.

للغضب أمارات وإن ظل صاحبه صامتاً تظهر تلك الأمارات على ملامحه، فكر ملياً وكانت هياته تتغير فانقلب إلى شخص آخر بسحنة اخافتها.

ثم قال لها :

- لقد ارتكبت أكبر خطيئة بحياتك يا جويل، تجاه نفسك وتجاهي، بل وتجاه المقاومة. هذه ليست مادة إعلانية إنها رشوة مقنعة، وقد أصبحنا أسرى بيدهم. إنهم أعداؤنا ويحتلون بلدنا والآن أمسكوا بزلتنا ويمكن التشهير بنا.

- لقد وقع المحظور، وما باليد حيلة والمبلغ ذهب القسم الأكبر منه لإيفاء الديون كما أن معهم عقداً لا نستطيع أن ننتصل منه.

- كان يجب أن تدركي، أن المادة الإعلانية لا تفع منها ، ولا تروج لهدف، بل هي بديهية تقال ويعرفها كل الناس، ويحفظونها عن ظهر قلب منذ الأزل إن وراء ذلك شركاً وفخاً، لماذا لم تتريثي

حتى تشاوريني في الأمر.

خفت أن تفلت منا الفرصة، ونحن بحاجة إلى المال.

- اتعلمين من هم فرسان الهيكل؟ إنهم تنظيم من القرن الثامن عشر وما قبل، فكيف يكون لهم اليوم أنصار كانت لهم أهداف غامضة، ويتعاونون على الآخرين.

مرت أيام .... وخف وقع الحادثة على كليهما، إلى أن جاء في يوم من يطرق الباب.

فتح جبور الباب، وكانت جويل في المطبخ شاهد رجلا انيقا

يقول له :

سعادة السفير يريد أن تقابله في السفارة ببيروت بعد ساعتين.

أي سفير هذا ؟ ولم يريدني أن أحضر إليه؟

- السفير الذي وضع الإعلان في صحيفتكم، وقبضت منه

المدام مليون دولار، أليس من حقه أن يراك؟ قد يكون هناك إعلان آخر أهم و أدسم ينوي أن يرسله إليكم لينشره في صحيفتكم .. اعتقد أنه يتوجب عليك الحضور. لا تخبر أحداً بهذا الأمر. اكتم الأمر حتى عن جويل نفسها.

لأول مرة في حياته يتهيب الموقف، شعر بأنهم أخذوا زمام المبادرة بخطيئة ارتكبتها جويل يا لحماقتها بل يا لجشعها !

ولكن عليه المضي ليكشف النوايا.

قالت له :

من كان بالباب؟

شخص من قبل أبي الحارث، يريد رؤيتي في المقهى.

لماذا لم يأت إلى البيت؟

ربما لكيلا يلفت الأنظار

لبس أزهى ثيابه، وخرج قلقا باتجاه تلك السفارة. على بابها استقبله رجل بدت على وجهه ابتسامة ماكرة أدرك أنه وقع في فخ كان ظنه مصيباً.

قال الرجل مبتسما بخبث:

مثلما توقعنا حدث. لقد أتيت برجليك، فأهلاً بك.

في غرفة السفير، لقي ترحيباً واحتراماً جزيلاً.

قال السفير:

تعجبني دقة مواعيد العسكر المدنيون أحياناً لا يحترمون

الوقت، ولا يحبون الانضباط. لذلك نفضل أن نتعامل مع العسكر.

ازداد قلقه من هذه المقدمة التافهة الماكرة، ونفذ صبره

وبشيء من التحدي قال:

خير... طلبتم لقائي ولا أعرف السبب، وليس بيننا أي نوع من

التعامل، بل نحن أعداء لأنكم تحتلون أرضنا.

سيكون بيننا الكثير من التعاون والمصالح المتبادلة

والكفة تميل إلى صالحك يعني أنت المستفيد الأكبر من هذا

التعاون. أما من حيث جهة العداوة فليس هناك من صديق دائم أو عدو دائم. وفي يوم ما سنخرج من العراق، وتستلمون مقدراته بعد أن نطمئن

إلى أن من استلمه جدير بحمل المسؤولية كصديق وانت خير من سيستلم حكم العراق بعدنا.

ارتاح قليلاً، واستبشر كثيراً، وتعجب من مقال السفيرا ولماذا يستقبله بهذه الحفاوة؟ لكنه قال في نفسه (رب رمية من غير رام).

أجاب :

في قولكم بعض الألغاز أو استعصى علي الفهم من فضلكم هلا أوضحتم؟ خاطبه بلغة التفخيم والاحترام؟

ابتسم السفير بحيث ظاهر (فقد عرف أن كلامه أعطى نتائج

سريعة لم يكن يتوقع سرعتها بهذه الدرجة، فقال:

- أنت يا جبور، مؤهل لحكم العراق بعد خروجنا إمكانياتك عظيمة وتاريخك مشرف. وعندك رصيد وطني مشهود له. لا يشك أحد بوطنيتك حتى الآن. أعرض عليك التعاون ليصل كل منا إلى هدفه... أنت تريد السلطة وحكم العراق. ونحن نريد الحفاظ على مصالحنا هناك وسمعتنا لدى الشعب في المنطقة كلها سيئة بل في الحضيض، فإذا تعاونا على المكشوف حرقنا سمعتك وأسانا إليك، ويدورنا لم نحقق من أهدافنا شيئاً، لذلك يجب أن يبقى هذا الاتفاق سريا بيننا، بل مموها تمويها كاملاً ومدروساً، بحيث

تهاجمنا في وسائل الإعلام ظاهرياً لإبعاد الشبهة، يعني في الظاهر ونكون أصدقاء في الباطن يعني أن نظل على تعاون واتفاق تنفذه انت في السر يكون لصالحنا وصالحك الشخصي ويجب ألا يعلم بذلك أحد. حتى زوجتك جويل نفسها. اكتم عنها الأمر.

ما مصالحكم التي سأنفذها لكم، إن استلمت حكم العراق؟

- بسيطة جداً .. أن تضع الرجل المناسب، في المكان غير المناسب، وأن تضع الرجل غير المناسب يعني الفاشل، ليقضي بين الناس، فبدل أن يصلح يفسد. وأن تغدق المال والمناصب والفرص على حزبك الذي ستنشئ وتترك شعبك جائعاً آخذاً بالقاعدة الذهبية

(جوع كلبك يتبعك). عليك أن تشيع التعليم الفارغ المضمون، والخالي من الهدف في المدارس ليكون بمثابة علم يفرخ جهلاً.

كيف ذلك؟

لا تفتح مراكز ابحاث لا تركز على الصناعة والاختراع. شجعهم على الجدل وحب الذات والأنانية الفارغة. اضرب العشائر بعضها ببعض ليستتب لك الحكم. شجع تنافر المذاهب والطوائف لتبقى انت بيضة القبان أشعرهم أنهم بدونك ستخرب البلاد، أو يباد العباد.

لكن أين حزبي الذي سأنشئ؟

- إنهم أفراد المقاومة التي تقودها، إننا نعرف بعض أسمائهم لكننا لا نعرف أماكن وجودهم. نعرف أنهم الآن يقاتلوننا، لكنا لا نريد منك اللوائح أو الأماكن لا نريد قتلهم بل تحويلهم بواسطتك لخدمتنا، وتنفيذ خططنا بعبارة أوضح قم بتدجينهم

ليدجنوا بدورهم شعبهم نريد شعباً من غنم. يسهل عليك قياده ولا يعارض خططنا التي ستنفذها أنت.

تحويلهم من ضفة إلى ضفة ليس بالأمر السهل؟

نريدك أن تدجنهم وتوجههم باتجاه مستنقع السياسة الداخلية. دعهم يتعبوا في البحث عن لقمة عيشهم. دعهم (يتمرمروا) في الانتظار، ليحصلوا على ربطة خبز، أو قليلاً من

الشاي وجههم مذهبياً وطائفياً نحو أبناء بلدهم ابذر بذور الكراهية في صفوفهم، ولا يكون ذلك إلا بنشر البغض الطائفي والمذهبي بينهم، ليتقاتل أبناء الشعب الواحد. وتبقى أنت على سدة الحكم المنقذ والقائد، وعليك المعول وتحقق نحن هدفنا في الفوضى الخلاقة، فمن رحمها سيبرز شرق أوسط جديد.

اندهش جبور مما سمع ، إلى درجة عقدت الدهشة لسانه .... ولاحظ السفير ذلك، فقال:

لنذهب إلى غرفة الطعام، فقد حان وقت الغداء. نتكلم

وناكل، فيكون غداء عمل، ويكون بيننا خبز وملح.

لم ينبس القناقي بكلمة بل نهض مع السفير وكانه بدا سهل الانقياد ذهبا إلى مائدة عامرة جلسا متقابلين وحدهما فقال السفير:

إن وافقت ستنضم إلى منظمتنا العالمية، وتصبح فرداً منا.

ولكن لا تنس، نحن على المستوى الإعلامي الظاهر أعداء يهاجم أحدنا الآخر بالفضائيات فقط وفي المستور، نحن أحياء، اعلم أن انضمامك إلينا سيرفعك إلى العالمية، ويؤهلك للمناصب، فلا منصب إلا للمنتسبين إلينا. يوماً ما ستجد المتخاصمين والغرماء كلهم إخوة وأعضاء في التنظيم. وما العداوة الظاهرة إلا لذر الرماد في العيون النتائج كلها لصالحنا وصالحك.

ناوله قطعة من لحم الخنزير، فأخذها مكرها ، لكن اللعبة أعجبته، ومطامع السلطة لعبت برأسه، فقال:

من يحميني من أعدائي؟

نحن نحميك ونرعاك. سنكون إلى جانبك دون أن ترانا وعند اللزوم ستجد قواتنا العسكرية إلى جانبك، ونسوغ تدخلنا

حتى لو اضطررنا إلى كشف اللعبة بانحيازنا إليك.

ناوله قطعة أخرى فاعجب بالمذاق، فقال:

أريد الحماية لجماعتي أيضاً.

سيكون ذلك، ولكن ليخففوا من المقاومة الآن، وليتخلوا عنها غداً، ولتكن شكلية، لتكن مقاومة شفهية أو إعلامية فقط. وأما على أرض الواقع، فهدنة غير معلنة، حتى يستتب الأمر ونخرج من العراق. فتستلم أنت وكيلاً لنا، وتصبح الزعيم الأوحد. وينعم أتباعك بالمناصب والميزات

- هل سنوقع اتفاقاً؟.

نعم ولكن بعد الانتهاء من الغداء .

ارتاح القناقي قليلاً، وتجاوب مع المائدة، فأيقن السفير أن الهدف قيد الإنجاز، وأن الرجل يعبر إلى ضفة الشيطان.

قال جبور:

- أنا لا أسلم أسلحة أتباعي، ولا أعطي لوائح، ولا أبوحبأماكن التمركز، أو التموضع إلا بعد استلامي السلطة.

- لا نريد شيئاً من كل ما ذكرت. نحن سنوصلك إلى السلطة، ولكن عليك تدوير الزوايا بشكل كامل.

- لا أفهم ما تعني!

ما نريد نحن تحقيقه، تنفذه أنت واتباعك بأيديكم، فتهون علينا العناء . نحن في الظاهر أعداء وفي الحقيقة في خندق واحد.

- لكنني لا أخون وطني

لا نريدك أن تخون وطنك.. من قال ذلك ؟ اعمل بوطنك ما تريد. لكن اجعله جميلاً ناعماً مسالماً يرضى كالأنعام بعلفه. نريد شعباً مسالماً لا يغضب حتى ولو انتهك بيته. تحكمه أنت بسهولة وأريحية، ونحمي نحن أصدقاءنا أصحاب الهيكل، من خطر الغزو .. الجميع رابح

وإذا لم أنفذ لكم ذلك.

انت اذكى من أن ترفض هذا العرض، أتتك السلطة على طبق من ذهب هل ترفسها ؟ الم تأخذ العبرة من مصير صدام؟ لو كان صدام هيئاً ليناً مطيعاً ودوداً، يقدم فروض الطاعة؛ لكان الآن يجلس على عرشه منعماً. يحارب بالميكرفونات) بدل أن يرسل جنوده إلى الموت، لكنه أبى واستغبى وتملق فمددنا له مداً، نحن بارعون في هذا. كان بوش يذهب يوم العطلة إلى مزرعته ومعه كمامة واقية من أسلحة التدمير الشامل. هل يعقل أن تصل أسلحة صدام إلى مقر بوش في منتجع كامب ديفيد. إن مثل هذه التصرفات، تعمي بصر الدكتاتور، فيظن أنه شيء عظيم بل عملاق لا يشق له غبار. وكنا نعرف كل تحركاته، لأن من بطانته من يعمل لصالحنا ، وهم من ضمن تنظيمنا السري، الذي انت ستدخله بعد قليل. لقد انتصرنا بهؤلاء العملاء، عندنا كثير من الأعوان ضمن صفوفه، يدينون لنا بالولاء. يمدوننا بالمعلومات بين تنظيمك بعض لنا، لا تستطيع كشفه، ولدينا معلومات وفيرة عنكم أرأيت كم ذراعنا طويلة؟ اعتقد الأغبياء؛ أن العراق سقط بفعل أسلحتنا وشجاعة جنودنا. لا... سقط بالخيانة وبنشاط

جواسيسنا وعملائنا.

- لكن أفراد المقاومة، كانت تقض مضاجعكم حتى بعد القبض عليه وقتل أولاده

لقد شوهنا صورتها، بخلق مقاومات طائفية نحن صنعناها. وكأنها المقاومة الحقيقية، ذبحت وأحرقت واغتصبت شوهت دينكم، وجعلت الأمم تنظر إلى الإسلام على أنه حركة إرهابية يجب القضاء عليها أثرى كم نحن قادرون على صنع كل شيء؟

- أظن أن التفاهم ساد بينكم وبين صدام لفترة .

لقد تعاون مخادعاً لجلب السلاح لجيشه، وعمل على تقوية مراكز ابحاثه، وكان له علماء يشكلون خطراً مستقبلياً على أصدقائنا في المنطقة، فغزوناه

إذا أنا تعاونت معكم لفترة، ثم نكصت كما فعل صدام

وغيرت اتجاهي، فماذا انتم فاعلون؟

ستدفع الثمن غالياً، تحرق أو يطعم لحمك للكلاب.

سكت القناقي عند ما صدم بتلك العبارات الشرسة، لكنه كان في نفسه حائراً هو يطمح إلى حكم العراق ولكنه لا يريد أن يخون شعبه ووطنه، وكيف يبيع أبا الحارث وهواش وكل القيادات الشريفة، التي استشهد كثير منها. هل سيتحول في نهاية المطاف إلى تاجر دم وأوطان؟

لاحظ السفير سكوته، وعرف انه في صراع داخلي بينه وبين نفسه

فقال له :

تأكد من أنه لا يرتقي السدة إلا من كنا عنه راضين ولا يستلم الحكم إلا من كنا له مزكين من عندنا جوازات المرور إلى العروش. ومن عندنا المصائب تحل بالشعوب أنت الآن في لحظة مصيرية فاختر لنفسك قدرك، ولن تخرج من هنا سالماً إلا موافقاً

ووكيلاً لنا أو جثة ترمى للكلاب.

لاحظ لهجة التهديد السافرة المنفرة، لكنها أيضاً الفرصة التي تاق إليها، سيكون له الآن ظهير يساعده في الوصول إلى العرش. وراودته شهوة الحكم ضاغطة دافعة، فما يقوله السفير هو الواقع، فلماذا القفز فوق الواقع؟ أجاب:

موافق لتوقع الاتفاق.

ضحك السفير ضحكة شريرة ولمعت عيناه كلص حصل على ذهب بينما كان جبور يتضاءل ويشعر بالخوف أول مرة في حياته .

شعر أنه حمل وديع بين براثن ذئب كشر عن أنيابه الصفراء.

قال السفير وقد انتهيا من الغداء

- تشرب القهوة أولاً، ثم نذهب لحفلة التوقيع.

قام السفير بعد شرب القهوة فكبس زراً، وبعد هنيهة حضر رجلان بلباس عسكري، يشبه لباس الحراس يحملان بين أيديهما لباساً أسود، يشبه لباس المصارعين الذي يرتدونه قبل النزول

للحلبة، فنهض السفير، وقال للقناقي

لباس توقيع التنصيب وإحلال العضوية، وأشار إليه بالقيام.

قام جبور مذعناً، واقترب من السفير الذي حمل اللباس، وكان 54

فقطاناً أسود طويلاً مع قيمة للرأس فالبسه جبوراً، وأشار إليه أن يتبع الحارسين سار الحارسان امامه واتجها إلى مصر طويل في

نهايته درج هابط، أوعزا إلى جبور أن ينزل إلى قبو كانه سرداب

نزل خطوتين كان الدرج عريضاً يحده حائطان من اليمين واليسار ملطحان بدم قان وكأنه قد سفح الشوه ... وعلى الجدارين جماجم الرؤوس بشرية خاف جبور منها، لكنه تابع النزول، فوجد إلى جانب الحائط اليميني، وعلى كل درجة من الأدراج، رجلاً يشهر سيفاً مرفوعا إلى الأعلى وكأنما يهم بالنزول به ليقطع رأس جبور، وعلى الحائط اليساري رجلاً يحمل (مشتا) وكانه يريد حفظ دم الرأس الذي سيقطع وصاح صوت اقطعوا رأس الخائن الواشي) فهوى سيف أول رجل على رقبة جبور، وعندما لامس شعر رقبته توقف السيف ذعر جبور لأن حامل (الطشت) تقدم من رقبته ليجمع دمه الذي لم يسمح وتكررت العملية عند كل درجة، لكن السيوف لم تقل من رقبته أما الصوت فمازال بتكرر عند كل درجة ويصيح اقطعوا رأس الخائن الواشي حتى وصل جبور إلى نهاية السرداب هناك طارت غربان سود وهاجمته وصار يرد الأذى عن عينيه وجسده بيديه.

وصاح صوت (اقلعي عين الخائن الواشي أيتها الغربان المقدسة) لكن عيني جبور بقينا سالمتين وألقيت امامه جثة ينزف منها بقايا دم حار ، فتدحرجت حتى وصلت إلى قدميه فأصاب دمها حذاته فقرع جبور كما لم يفزع من قبل وصاح صوت (هذا جزاء من يفشي الأسرار)، كانت رحلة عذاب وخوف طويلة كانه كابوس لكنه الحقيقة بعينها.

في النهاية وجد جبور السفير أمامه لم يعرف كيف وصل، وقد تركه في قاعة الطعام لعل هناك باباً سرياً آخر أوصله إلى المكان ذاته

قال السفير:

لقد نجوت بفضل احتفاظك بالسر والإخلاص للمحفل، والآن

جاء دور القسم.

أتوه بكتاب لا هو بالإنجيل ولا هو بالقرآن، موضوعاً على حامل فوضع يده فوق الكتاب وردد وراء السفير: (أقسم بما جاء فيه، انني سأكون وفياً لإخواني انصرهم ظالمين أو مظلومين وتحرق يدي إن حنثت بقسمي وتأكل الغربان عيني إن خنتهم وأكون جثة تقطر دماً، إن لم أنفذ تعاليم محفلهم).

انتهى القسم على وقع صراخ مخيف تبعه عواء ذئاب بعيدة.

بعد ذلك صافحه السفير قائلا :

مبارك أصبحت واحداً منا.

أخرجه من باب جانبي، وصعدا إلى الأعلى. كانت الغرفة مضاءة. وعلى الطاولة كأس من شراب أحمر.

قال السفير:

اشرب كأس الانتساب، فتتعمد بالدم من الداخل.

ناوله الكأس قائلا :

عليك أن تتجرعه دفعة واحدة بدون تردد. دون أن تشمئز منطعمه

شرب جبور الكاس، ودلقه في جوفه دفعة واحدة، فشعر بلزوجة تشبه الزوجة الدم.

قال السفير:

- إياك والتقيوا لأن ذلك يعني النفاق، وعدم الاقتناع في الاعتناق.

ورغم التقزز حاول الا يتقيا شيئاً منه رغم امتعاضه. ثم قدمت له كاس من الشمبانيا فشربها وتغير الطعم الكريه.

قال السفير :

أتعلم يا قناقي، ماذا شربت في الكأس الأولى؟

لا أعلم

لقد شربت دم رجل خاننا منذ فترة، واليوم ذبح ليشرب من دمه منتسب جديد هو أنت. إن ما شربت دم طازج لرجل خان فاصبح جثة، كل من خان ياتي بدلاً منه منتسب جديد مثلك.

اهنئك مجدداً.. أنت الآن اخ جزيل الاحترام شد على يديه

وصافحه قائلا :

- سأتركك بعض الوقت لترتاح .

بقي وحيداً. وظن أنه في حلم، فرك عينيه وقرص جلده لا ليس هو يحلم إنها الحقيقة، منذ ساعتين كان حراً طليقاً، والآن مكبل بقيود وسيوف ودماء. لماذا حدث الذي حدث، هل طمعه في كرسي الحكم أوصله إلى هنا ؟! أم الرشوة المقنعة التي ابتلعتها زوجته كطعم، هي من أوصله إلى ما وصل إليه. كيف تجرؤوا ؟ هل الشهوة تستعبد صاحبها؟ وما قيمة كرسي يجلس عليه خائن؟ جويل من جعلتهم يتجرؤون عليه ويمسكوا به. فمن تنازل خطوة ستتبعها خطوات. وسينتهي به المطاف إلى السقوط فلا يستطيع المقاومة بساعتين فقط انهار تاريخه النضالي، وتبددت مواقفه المشرفة لينحدر نازلاً الدرج تحت رحمة السيوف، وظلمة القبو لتتخطفه الطير، أو تهوي به الريح من مكان سحيق، إن ذلك ليس حلماً وأكبر دليل الجثة الملقاة بدمها الطازج، الذي مازالت تقطر فيلوث حذاءه. نظر إلى حذائه كان دم الجثة قد جف قليلاً وتمركز على حذائه يذكره بالوصمة عار له وصمة لن تمحى هذا يثبت أن ما جرى ليس حلماً، بل وقائع كيف وقعت أيها القناقي بالشرك وأنت المشهود لك بالوطنية ومحبة الناس. وما موقف جويل؟ وهل

ستدلي لها بالوقائع المخزية؟ الوصية تقول: اكتم. ومن أفشى السر قطع لسانه وأحرق و ما موقف أبي الحارث؟ وهواش وبقية المقاومين والمرابطين على خط النار، إن

علموا أو كشفوا الخيانة؟ ما موقفك يا جبور، من دم الشهداء الذين قضوا أمامك في ساحة الوغى وهم يقاتلون من اغتصب نساءهم وديارهم؟ بل ما موقفك من ضميرك الذي لوث بالدم ولحم الخنزير ؟

عاد السفير مسروراً وقال:

قبل أن أودعك هناك بعض التعليمات.

- قل.

سافر إلى العراق ولا تعد إلى لبنان لأن مجال عملك هناك حول رجالك إلى حزب سياسي، لا إلى مقاومين، وانشر بينهم حب الشهوات والحقد على الآخرين، وزين لهم الحسد والكره والبغض وكره إليهم التضحية والجهاد، لأن ذلك إرهاب لا يقر به المحفل الدولي. ستجد لك إخواناً سبقوك في القسم لا تعرفهم ولا تتوقعهم سيساعدونك من حيث تدري ولا تدري.

فنحن باب المناصب ومن نوافذنا يأتي الحكام والحاكمون إلى الأمام يا قناقي، إلى الأمام. لقد دخلت المحفل من أوسع أبوابه، فارنا شطارتك وذكاءك.

إن الماسونية تحكم العالم !! وهي الوجه الآخر للصهيونية الأمريكية !!

(٤)

تعرض جبور القناقي بعد تنسيبه، إلى صراع داخلي مرير ألم حارق أقسى من الجحيم. لم يعهده من قبل. لقد تم كل شيء بسرعة، ربما كان مرغماً أو مندهشاً، أو تم تحت التهديد هل كان يا ترى راغباً في سلطة فوق احتماله، دفعته إليها الرغبات الباطنية وحب السلطة والتسلط ؟ كان يحلم بمؤازرة، إنه يريدها من أي كان. وقد أنته الآن دون طلب لكن هذه المساعدة (فاتورتها) باهظة دم واغتصاب وقتل وتهجير، بيع أوطان ومساومة على دماء وأعراض هل هو راض عما تم وعما سيكون، إن ذلك الفظيع.

ها هو الآن يهرب من ضميره بشتى الوسائل ويتذرع بحجج ليست

مقنعة، قيل إن المرأة المغتصبة ما كانت لتغتصب لو أرادت منع

مغتصبها من اغتصابها؛ لكنها في اللاوعي راغبة في ذلك، تمكن

المغتصب من اغتصابها. هل كان القناقي كذلك؟ هل كان يرغب

في عقد تحالف مع الشيطان من أجل الوصول؟ الوعي يقول لا.

لكن من ذا الذي يستطيع سبر أغوار اللاوعي اللامحدودة

والمظلمة؟ إنه يريد ولوج دائرة الشر، مسوغاً لنفسه أنها توصله

للخير ؛ لأنه يظن أن الوصول لا يمكن أن يتم إلا عن طريقها. لقد

اخطأ التقدير فهوى أم أن ذلك تم بفعل ظروف استكان لها ؟ هل قبول

الرشوة التي تمت على شكل مادة دعائية قبلتها جويل، هي التي منعته من المقاومة الصريحة للعرض الشيطاني، الذي دونه خرط القتادة المهم أن الذي جرى قد جرى ولا بد من الوصول إلى قناعة في سلوك طريق ما ، يتجاوز العقبات والمفاهيم. ويوجد للنفس المسوغات. لقد كانت التعليمات أن يغادر إلى العراق، لينفذ مهام الشيطان ويثبت له الولاء عليه بالتنفيذ الفوري، وعليه أن يسافر هذه المرة عن طريق سوريا ليصل إلى العراق حزم حقائبه وسافر بعد أن أعلم جويل بأن سفرته قد تطول، وقد لا يراها أبداً إن قدر له الاستشهاد فحزنت وقالت:

بل ستعود وترجع لنا السعادة.

ووصل إلى دير الزور، وأراد أن ينام ليلة في تلك المدينة الحالمة على ضفة الفرات وهدفه استطلاع الأخبار من عراقيين لجؤوا إلى المدينة، هرباً من الجحيم، فنزل في فندق (النورس)، وهو الفندق نفسه الذي نزلت به جويل ومعها ياسر إبان مغادرتهما إلى العراق ليبنا من هناك إلى فضائية أنطون شركس (الأفق الرحب)، وجاءه عامل الفندق بفنجان قهوة إلى الشرفة المطلة على نهر الفرات وكان هذا العامل محسوباً على المقاومة، ومن جهاز أمنها، ويعرفه القناقي وقد تعاملاً سابقاً، فسأله القناقي:

- كيف أحوال العراقيين في هذه البلدة يا فهد؟

جميعهم منكوبون بعضهم فقد الولد وبعضهم الأب والأم أو الأخت. بعضهم تعرض للاغتصاب، لكنهم جميعا رغم المصيبة متفائلون، ويضعون ثقتهم بالمقاومة الشريفة، وبك شخصياً.

بي أنا؟

نعم الست انت من تقود المقاومة هناك؟ في رقبتك أمانة كبيرة وثقة أوليتموها، وأنتم جديرون بهذه الأمانة والثقة يا سيدي.

هل يدري انه انحرف وأنه أساء الأمانة وارتكب الخيانة، وهذا الشعب المنكوب، الذي تخلى عنه الجميع، أضيف إليه خائن آخر فإلى من يلجأ المظلوم الذي خذل

- هل يجيء أبو الحارث إلى هنا؟

منذ دخل مع البعثة التلفزيونية اللبنانية، لم يعد.

وامراته وزوجه واولاده من يصرف عليهم؟

- إنهم في فقر مدقع بل هم في أفقر الدرجات لكنهم صابرون تحسبهم أغنياء من التعفف

قال في نفسه : (هل ابني مجدي على بؤس هؤلاء وفقرهم ؟ هل أبيع أبا الحارث وهواش وأمثالهما، وأخدم المحفل؟ أي سافل أنا بل أي حقير)

هل تعرف مكان سكنهم؟

في حارة الرجاجيل شرق المدينة.

قبل أن يغادر، ذهب إلى بيت أم الحارث وعرفها إلى نفسه

وقال:

لقد أرسل لك أبو الحارث مبلغاً من المال لتنفقيه على أسرتك

متى سيعود ؟

سيعود سالماً غائماً عما قريب بإذن الله .

فرحت أم الحارث، وأتى الأولاد بأسمالهم البالية ووجوههم الصفراء الذاوية، يسلمون على من خان أباهم ورفاقه.

فقال في نفسه:

(هؤلاء هم أعداؤك الآن. أما أصدقاؤك فقد أصبحوا أعداء شعبك وجلاديه، فاهنا يا جبور، بإنجازاتك التي تنكس الرأس وتراكم الذل

غادر في اليوم التالي إلى العراق وأول ما توجه إلى دير الأب أنطون ليستطلع الأخبار، وليعرف أماكن تمركزهم الجديدة

كان الأب انطون ينفذ قداس يوم الأحد وكان اثنان من مساعديه فقط يحضرون القداس، وقد قارب على نهايته اختتمه الأب أنطون بقوله (يا رب لا تدخلنا في التجربة - ونجنا من الشرير).

ها هو الآن يدخل في التجربة أما الشرير فقد أصبح ولي نعمته وأمره ورئيس حلفه والشعار المطلوب حرف المقاومة، وإفراغها من

مضمونها، لتتحول إلى حزب سياسي مصفق، ينفذ أهداف المحفل ويدمر ذاته بذاته.. كل ذلك من أجل عرش أي كرسي كسائر الكراسي بل أسوأ من كل الكراسي فعن طريقه ستدمر البلد.

سلم الأب أنطون عليه وعائقه، وجلسا في غرفة المطران، التي كانت جويل قد أقامت فيها، يوم نزلت الدير مع ياسر كانت تلك الأيام أيام طهارة ونقاء وها هو السواد الآن يلطخ البياض الناصع وتفوح منه الخيانة أينما اتجه.

قال جبور:

كيف حالك يا أبانا، وماذا بقي في قبو النبيذ؟

لم يبق غير التين المجاهدون الآن ينقصهم السلاح والمال وقد غبت أنت كثيراً في بيروت.

لقد حدثت أمور كثيرة، ربما لم تعلم بها. لقد تزوجت من جويل، وانشأت صحيفة ومحطة فضائية لخدمة المقاومين والوطنيين، وها قد عدت إلى صفوف المجاهدين.

تعجب الأب أنطون واندهش، وقد كان يعلم أن جويل كانت ترغب بياسر، وكانت أمارات الحب ظاهرة، ولم ينس الأب أنطون ذهابهما إلى البحيرة قبيل القداس. والحب لا يمكن إخفاؤه، فقال:

- أرجو الا يدخل الرب أحدنا في التجربة.

ارتبك جبور قليلاً، ثم قال:

اين هم المجاهدون الآن - بل أين هو أبو الحارث؟

يمكن أن نرسل وراءه إن أردت أو تخبره بهاتف الثريا.

حبذا لو فعلت .

ونام جبور هرباً من نفسه ساعات، ثم استيقظ على سماع صوت الأب أنطون يقول:

لقد حضر أبو الحارث هلا استيقظت فقد مضى على نومك ساعات، لاشك أنك كنت متعباً جداً.

- إنني متعب جداً كما لو لم أكن في حياتي بمثل هذا التعب.

وسلم على أبي الحارث مرتمياً على صدره، وكانه يعتذر عن الخيانة قال أبو الحارث

- أراك متغيراً، منهكاً منخفض المعنويات، هل حدث شيء؟

حدثت أمور كثيرة، سوف أدلي بها فيما بعد، ولكن قل لي، ما أخبار التنظيم؟

الجهاد قائم، والعدو يتزلزل والمجاهدون يحققون انتصارات

- كم عددنا الآن؟

- لا أحد يعلم (فلقد كشفنا مخبراً للعدو اندس إلى التنظيم. ٦٥

هو جاسوس يعمل لصالح المحتل فصفيناه واعدنا هيكلة التنظيم السري بطريقة مختلفة عما كان، فلم يعد حتى القادة يعلمون بهيكليته.

تذكر جبور ما قاله السفير من أن جواسيسه تسربت إلى التنظيم

قال :

- كيف تم ذلك؟.

ضرورات الواقع واحتياطات الأمن

أوضح لي الأمر فلم أستوعب

القيادة العليا : سميناها مجلس شورى، أنت يا قناقي رئيسها، وتعدادها عشرة أشخاص هؤلاء يعرف بعضهم بعضا.

وكل شخص في مجلس الشورى يقود خلية من ثلاثة أشخاص العدد في هذه الحالة أصبح ثلاثين الأشخاص الثلاثة معروفون فقط من قبل رئيسهم لا أحد من مجلس الشوري يعرف أسماءهم.

أي أنني لا أعرف أسماء خلية هواش ولا أسماء خليتك، كل واحد من الخلية المؤلفة من ثلاثة، يقود أيضاً ثلاثة لا يعرفهم الاثنان الباقيان، يعرفهم فقط رئيس خليتهم. وهكذا إلى نهاية السلسلة. وبهذا الشكل كل شخص من التنظيم يقود ثلاثة يعرفهم ويعرفونه، لكنهم لا يعرفون رئيس رئيسهم. ولا يعرفون أسماء مجلس الشورى وبهذه الحال إذا كشف شخص من قبل العدو أو دس العدو جاسوساً، أو القي القبض على عضو في هذا التنظيم

الجهادي، وتعرض لضغط، فإنه لا يستطيع كشف سوى ثلاثة اشخاص هو رئيسهم وعلى هذا الأساس لا لا : نعرف نحن تماما العدد ولا الأسماء، والقتال يجري ضد العدو كحرب عصابات بالخلايا نفسها ونخبر نحن بالعمليات بعد حصولها. ولذلك يتوجب على كل خلية أخذ ذخيرتها من غنائم العدو وذخيرته إن أمكن. وإذا احتاج العمل الميداني إلى أكثر من خلية نجمعهم عن طريق مجلس الشورى

تأمل القناقي وعرف أنه من الصعوبة كشف عناصر التنظيم.

وسيبوء سعيه بالفشل إن طالبه السفير بالأسماء، فاحتار في أمره وسأل أبا الحارث

ستلاقي صعوبة إذا حولنا التنظيم بعد الاحتلال إلى تنظيم مدني غير مسلح

- هذه كارثة مجرد التفكير بها الآن هرتقة. لا لن يحول

أقول بعد انتهاء الاحتلال، وليس الآن.

علينا ألا نستبق الأمور، قد نجد مهاماً بعد خروجهم.

ما هذه المهام؟

تصفية عملاء المحتل.

بلع القناقي ريقه، وتلعثم في القول

- أملنا الا يكون للمحتل عملاء بين صفوفنا.

العميل أمامك يا أبا الحارث، يتكلم ويستجرك بالقول، وهذا ليس بالغريب، فحول رسول الله (ص) كان نفر من المنافقين يستمع، ويخطط لما سيأتي من أيام لا جديد يا أبا الحارث تحت الشمس، وها هي الأفعى تبدل جلدها وتتجدد.

قال الأب أنطون:

لنذهب ونتناول الكعك والشاي.

وأثناء شرب الشاي امتد الحديث إلى أن المقاومين بحاجة إلى

مال وسلاح، فقال جبور:

-لقد كاد المال ينفد ، وقد استهلكت الفضائية والصحيفة

الكثير من المال الذي حصلنا عليه من المصرف المركزي والذي هربناه إلى لبنان والأردن ولم يبق منه الكثير، وإذا ما تحولنا إلى التنظيم المدني سيسهم الأعضاء باشتراكات شهرية، وتحصل على هبات وتبرعات من أنصار ومؤيدين أغنياء موسرين لهذا فكرت مستقبلا بتحويله إلى تنظيم مدني لا يستهلك أموالاً.

انتبه أبو الحارث إلى الفكرة التي أعادها القناقي مرتين

وتساءل في قرارة نفسه:

الماذا يركز على ضرورة التحول إلى التنظيم المدني، وإلقاء السلاح هل حقا من أجل المصاريف؟ ثم إن الأموال التي هربها القناقي بالمليارات أين اختفت؟ هل يعقل أن تذهب كلها إلى الفضائية ؟ أو الجريدة؟ ثم ما فائدة الفضائية والجريدة، في وقت أحوج ما يكونون إلى قطعة سلاح لقد تغير القناقي ... فمن غيره؟

هل مكوثه ببيروت قد غيره؟ ولماذا تغيره بيروت هل زواجه من جويل غيره؟ لكن لماذا يغيره زواجه من جويل؟ لابد أن أسبابا أخرى جوهرية، قد غيرته، فليختبره إذا ليعرف الأسباب).

قال أبو الحارث:

سأقوم غدا بعمل كمين مع مجموعة من ثلاثة عناصر...

سناسر جنرالاً أمريكياً يمر من الطريق نفسه، وقد رصدناه منذ مدة؟ فهل تشاركنا العمل العسكري كما كنت تفعل سابقاً؟

ارتبك جبور، لكنه ظل رابط الجأش فقال:

أين المكان؟ وما وقت التنفيذ ؟

صباحاً. بعد غد عند مثلث النخلات وموعد التنفيذ الساعة السابعة

سأشترك معكم في الكمين، لم لا وعلي أن أذهب معك غداً لألتقي بمجلس الشورى قبل تنفيذ العملية.

لم يستنتج أبو الحارث من العرض شيئاً، فها هو الرجل يعود إلى العمل العسكري.

التقى القناقي بمجلس الشورى في مغارة تحت رابية، تحيط بها أجمة من أشجار الصنوبر.

بعد السلام والترحيب قال:

لا أخفيكم أن المال قد نضب أو كاد. وأقترح أن نحول

تنظيمنا إلى حزب سياسي والمحتلون سوف يرحلون من تلقاء أنفسهم؛ لأنهم غرقوا في مستنقع العراق. ويصبح العدو الرئيس لنا هي الأحزاب المنافسة لا المحتل نفسه علينا أن نكسب الجولة القادمة في التشكيل الحكومي واحد منا يجب أن يكون رئيس الوزارة، أو رئيس المجلس النيابي القادم، وأن ظهورنا الآن بمظهر الحزب المدني، سيترك لنا حظاً أكبر للفوز، لأنه سيبقى للأمريكيين نفوذ في العراق ولو خرجوا. وعلينا ألا نظهر لهم العداوة الشديدة، بل المرونة. فالسياسة تقتضي ذلك لأنها الأساس. والحرب قد

عرفوها بأنها امتداد للسياسة بظرف معين. إذاً السياسة هي الأصل والحرب هي الاستثناء.

قال سعدون الجباوي، وهو عضو في مجلس الشورى

إننا نسمع منك يا جبور، لحناً لم نعهده من قبل، فهل غيرتك السياسة في لبنان؟

- لا لم تغيرني بيروت ولا ساستها. ولكننا يجب أن نستشرف المستقبل، ونسبق الآخرين.

قال يزيد سمعان وهو عضو مجلس الشورى أيضاً :

لنتريث شهوراً. ثم ندرس الأمر على ضوء الواقع الجديد.

قال جبور:

- أنا لم أقل لنتحول من الغد علينا أن ندرس الفكرة، وإذا

اقتنمتم فلا بأس من فتح قناة مع الأمريكيين.

كيف سيتم ذلك؟ هذا محال تصادق من تحاربهم الآن؟

هناك طرق عديدة قد تكون بواسطة أحد أقطاب المعارضة الذين جاؤوا على ظهور الدبابات الأمريكية. هذه هي السبيل الواقعية لدخولنا في التشكيل الحكومي الجديد

كان المفروض أن يقول لهم بواسطتي أنا، فقد أصبحت عضواً مكرساً بتنظيمهم العالمي. وإنني موعود بمنصب هام قد أكون

حاكم العراق المقبل.

ثم تطرق الحديث إلى العملية العسكرية، التي ستنفذ في الغد. والتي سيشترك فيها القناقي نفسه، لذر الرماد في العيون.

وسال القناقي نفسه : (أليس من الحكمة إخبار السفارة في بيروت، بمكان الكمين وموعده، لأبرهن لهم مدى الإخلاص والالتزام صمم على ذلك، وتم التحضير للكمين، وفي الساعة السابعة لم يحضر الجنرال الأمريكي من الطريق نفسها. مع أنه اعتاد ذلك على مدى أكثر من شهر فباء الكمين بالفشل ولم ينفذ ، قال له رئيس المحفل الشيطاني في بيروت

حسنا فعلت فلقد أثبت الولاء. وأنقذت جنرالاً أمريكيا مهما سيسجل كل هذا في إضبارتك وسترفع إلى درجة (عضو جزيل الاحترام.)

لكن أبا الحارث تعجب وكاد أن يشك بالأمر لكن لم يخطر بباله أن جبور نفسه هو من أخبرهم يبدو أن الأسخريوطي يعيش بيننا كل يوم، وكانه لم يشنق نفسه، كما قال الأب أنطون يوماً.

قال جبور بعد مرور الوقت، وعدم مرور الجنرال و فشل الكمين.

لعله غير طريقه، بعد أن سئم من كثرة المرور عليه، أو انتبه التعليمات الأمن.

قال أبو الحارث:

ولعل أحداً أخبرهم بالعملية والتوقيت:

لا أظن ذلك ولا أريد أن تشكك بعناصرنا.

تشكك ببعض قيادينا إذا ؟

- لا هذا ولا ذاك الأمر محض مصادفة.

ورجع القناقي إلى دير الأب انطون فهناك يستطيع أخذ حريته في الاتصال والراحة.

قال لأعضاء مجلس الشورى وهو يغادرهم

- سأجعل مقر قيادتي في الدير لأنه علينا الا تجتمع في مكان واحد الأسباب أمنية وإذا احتجتم إلى شيء فانا هناك.

وأقام في الدير أسابيع، كان فيها يتأمل خيانته إن ما قام به الفظيع في أحايين كثيرة، يجد وكان ما قام به لم يكن بإرادته

وإنما تم بشكل أقسر عليه بواسطة قوة خفية غامضة، لعل ما دفعه إلى ذلك شهوة السلطان، والاستئثار بالحكم، فعمي بصره وخنع وما كان عليه أن يفعل ذلك، لولا تلك الشهوة أو تلك القوة الغامضة، وصحيح أنه قد زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والحرث إلا أن ذلك يجب أن لا يكون ثمنه الخيانة، أو بيع الأوطان أو التجارة بالدماء ودموع الثكالى، فأي خطيئة ارتكبت يا قناقي، وأي كفارة تسوع فعلتك، أو تمحوها؟ إنه حتى لو قتلت نفسك، لما كفرت خطيئتك.

وكان يسهر هو والأب أنطون، الذي كان يقص عليه اقوالاً

للسيد المسيح وردت في الأناجيل .... ويبين له عبرتها وغرضها.

ومرة سال جبور القناقي الأب أنطون

كيف خان يهوذا الأسخريوطي سيده ولماذا ؟

قال الأب أنطون:

أنت تعلم أنه خانه لقاء ثلاثين من الفضة، ووعدوه بمنصب هام المال والكرسي من أدوات إبليس لإغواء البشر، لكن كل ذلك بتقدير من الله، ليميز الخبيث من الطيب. ومع كل هذا فإن ضمير يهوذا تنبه فيما بعد، فعاقب نفسه بان شنقها بالشجرة.

- وهل موته يغفر له، ويكفر خطاياه؟

- لا أعتقد ذلك لقد سببت خيانته الآلام والمصائب لن يشفع

له ندمه فيمحو عقوبة تلك الجرائم.

ولكن لماذا تسأل عن هذا الأمر، وما الذي ذكرك بيهوذا الآن؟

ارتبك القناقي، وتأمل قليلاً ثم قال:

أحدهم دخل تنظيمنا، وخان المجاهدين

هل عاقبوه؟

نعم تمت تصفيته.

لن ينال الغفران، رغم أنه دفع ثمناً حياته. فقد مات بسببه أناس كثيرون، واغتصبت حرائر وحق العباد لن يضيع.

نعم يجب الا يغفر له .

في الصباحات يتمشى في الغابة أو يدخل السرداب من خلال قبو النبيذ، لا يجد سوى الذكريات البراميل كانت مملوءة بالأسلحة.

الآن كلها فارغة، وكان يحملها في الشاحنة الزراعية، بعد أن يغمرها بالتين أحياناً ، يجلب ثوراً ويضعه في الشاحنة للتمويه كم كانت تلك الأيام طاهرة نظيفة. لقد كان له هدف واضح، أما الآن فالهدف غائم، لأنه ملطخ بالدم. فرغ القبو من كل سلاح، ولم يبق سوى التين. كما فرغ الضمير من الحياة، فما فائدة اللوم؟ وأما الأموال التي كانت على شكل دولارات؛ فقد هربها إلى لبنان والأردن ووضعت باسمه هناك يقول لرفاقه : إنها نفذت وفي الحقيقة، لم ينقص منها سوى القليل الخيانة تجر الكذب وسوء 74

الائتمان، فإلى أي هاوية سقط ذلك السقوط المربع كلوح من زجاج القي من أعلى القمم إلى صخر الوادي فتشظى، أو كانه القي إلى مستنقع الطرح فيه، منتظراً الأفاعي والتماسيح قال لنفسه:

سأهرب بالأموال إلى أوربا لعل في ذلك نجاة لي وانعدام ضرر الرفاقي) لكن يد الشيطان طويلة، ومهما حاول الهرب، فإن يد المحفل ستطاله عندها سيقطع لسانه، وتحرق أعضاؤه ثم يلقى جثة تقطر دماً أمام منتسب جديد لردعه وإخافته، وعلى كل فإن دخول الحمام، ليس كالخروج منه، فهذا التنظيم شيطاني والشيطان في كل مكان، وسيكشف أمره لا محالة.

وصل إلى فرشة التين الناعم، حيث خانت جويل ياسراً ، واستسلمت من وهرة المال إلى جبور بكل سهولة ويسر وأريحية، في الوقت الذي كانت تتذرع فيه ممتنعة بأوهى الأعذار لياسر لكنها أخيراً وعدته بالحب والالتزام، ثم خانته. فما بالها ساعتثني تستسلم له بتلك السهولة المدهشة، لا من أجل الحب والعواطف، بل من أجل البريق الذي خطف بصرها ووعيها فأصبحت خائنة.

ولكن ليس بدرجة خيانته على كل حال ويبدو أن للخيانة درجات، مثلما للعضوية في التنظيم الشيطاني درجات. وقد ترفع إلى الدرجة الثانية عندما وشي بأمر الكمين. إذا لكل خيانة ثمن ولكن ما ثمن الوصول للكرسي الذي سيحكم من خلاله العراق لاشك أن الثمن باهظ جداً، وأكبر مما كان يظن!

وبينما هو في الذكرى يغوص، خرج ثعبان أسود من الغرفة

التي كانت تحوي المال المكدس ارتعب جبور، وظل المصباح في يده يرتعش هل شعر الثعبان بخوفه وارتعاشه؟ رغم كل ذلك تابع الثعبان الأسود مسيره، ونزل في ثقب إلى جدار قد يكون وكره فإذا كان الأمر كذلك فما الذي حدا به إلى بيت الدولارات، التي كانت مخبأة هنا، ثم رحلت إلى لبنان والأردن.

اتراه افتقدها؟ وهل تحب الثعابين المال كما يحب البشر المال والمناصب؟ أم أن هذا الثعبان هو المال، وقد تقمص على هيئة ثعبان؟

خرج بسرعة مذعوراً يرافقه سؤال : (ماذا كان يعمل الثعبان الأسود في بيت تخزين الدولار؟) وصعد إلى الفوهة، فاستقبل الضياء والأشجار وأمواه البحيرة كانت العصافير ما تزال تفرد على الأغصان، ومن بعيد شاهد على سطح البحيرة بجعتين بريتين تستحمان ما أجمل الطبيعة وما أروعها (لماذا ينزل إلى السرداب؟ أمن أجل ذكرى المال الذي فر؟ أم السلاح الذي سلم للشرفاء

يدافعون عن كراماتهم، وكان واحداً منهم؟ أم ليتذكر توقيع عقده مع جويل، بعد أن سقطت أمام المفاجأة، فوقعت العقد بكل حميمية، ليس مثل الطبيعة بأشجارها وأزهارها وينابيعها وطيورها من يعيد إلينا البراءة الأولى والفطرة الطيبة ؟ بل ربما هي من تطهرنا من الخطايا والآثام أو حتى من الخيانة هي الآن موئله وملجزه، أما القرار النهائي فلم ينضج بعد ظل شهراً هائماً

متفكراً في ربوع ايكة الدير. انقطع عن العالم، ماعدا جلسات

لأب أنطون المسائية، التي يقص عليه فيها مسيرة المسيح، التي

انتهت بدرب الجلجلة فإلى إلى درب ستنتهي مسيرته؟ هل سيتمرد على شيطان التنظيم الجهنمي؟ ومن يلهمه قوة الروح الرافضة، ويعيد له الكبرياء المهدورة؟ هل سيجد ذلك من خلال الطبيعة التي هي الأم، وهي خير مرشد؟ أم من خلال مسيرة يسوع، التي يذكره بها الأب أنطون كل يوم بعد مرور وقت طويل، اعتقد أنه وصل إلى بداية حل فقال للأب أنطون :

أريد منك خدمة، هي في الوقت ذاته موقف وطني فأرجو أن

لا تردني خائباً وأن تلبي لي هذا الطلب .

سالبي الطلب مهما كان صعباً، شرط أن يكون

باستطاعتي، قل لي ما هو ؟

تعرف يا أبانا أنني أملك في حسابي المصرفي أموالا للمجاهدين هي أموال المصرف المركزي العراقي، وقد نقلت الأموال إلى مصارف في لبنان والأردن، وأحمل شيكات بها ،

يمكن عن طريقها تحويل تلك الأموال إلى أي شخص أريد. وأنت تعرف يا أبانا، أنني معرض للموت في كل لحظة. وإذا ما مت ضاعت الأموال، واستولى عليها مالكو المصرف لذلك أريد نقل المال إلى اسمك، لتصرفه على المجاهدين، حسب الاحتياجات على السلاح والذخيرة التي هم في أمس الحاجة إليها.

تأمل الأب أنطون كثيراً. ثم قال:

قبلت، فما الإجراءات.

- تسافر إلى لبنان والأردن وتفتح حسابات باسمك، وبموجب

الشيكات التي سأحررها لك تصبح تلك الأموال في حسابك.

وتستطيع أن تصرف منها لمن تشاء ومتى أردت.

- سيكون الأمر شاقاً، فأنا أكره المال وكنزه ولكنه مال

وطني. ولكونه كذلك سأنفذ رغبتك.

- في حال موتي تنفق منه على المجاهدين بواسطة مجلس الشورى، الذي ستكون أحد أعضائه

لماذا تذكر الموت كثيراً في هذه الأيام؟

أجد أن لحظة الحقيقة قد اقتربت

- أرجو أن تعيش لترى العراق وقد تحرر، وعاد أبناؤه إليه. وانتهت مأساته.

- لكل أجل كتاب

لقد قرر القناقي أمراً، فرح بالعثور عليه بعد تأمل وانعزال بعد يقظة ضمير، وتحرك لجذور في داخله كامنة، إنه يقظة الوجدان بفعل الطبيعة، تلك القوة الخلاقة، إنها الأم، ومنها اشتقت الأمة والأمة الآن بحاجة للتضحية لا للخيانة.

في اليوم التالي، استعد الأب أنطون للسفر تاركاً الدير بعهدة جبور القناقي، استخرج وثائقه وأخذ من جبور شيكات الأموال وعناوين الأهل والأصدقاء في لبنان.

بعد أيام أقلعت طائرته باتجاه الأردن، ثم إلى لبنان .

(٥)

مضت سنوات على غياب ياسر الخوخة في رومانيا، حقق فيها إنجازات جبارة هو وولداه ، فلقد تمت تصفية تركة أخيه زهير التي بلغت بضعة مليارات موزعة على محافظ استثمارية، أهمها مجموعة شركات وعقارات وأموال سائلة مودعة في مصارف متعددة، وقد عادت هذه الأموال نتيجة تصفية التركة إليه وإلى ابيه كوارثين وحيدين.

وقد وكله أبوه بإدارتها كلها بل لقد تنازل له عنها واعتبرها هبة منه لولديه ثائر وكفاح اللذان خلال تلك المدة المنصرمة، قد تخرجا من جامعة رومانيا للتجارة والاقتصاد وإدارة الأعمال وباشرا عملهما في إدارة الشركات الموروثة، ونجحا في ذلك أيما نجاح الأمور تمشي على أحسن ما يرام، والمال يزداد بمتوالية هندسية، لكن ياسراً لم يكن سعيداً، فهو لم ينس الخيانة التي اقترفتها جويل، كما لم ينس اخطاء الآخرين، الذين

اقترفوا الإساءات والحماقات بحقه، أو حق رفاقه أو أولاده لقد تضخمت لديه شهوة الثار فارقت ليله، ونمت لديه ثقافة الانتقام فرعاها ونسي نفسه لم يحب ولم يتزوج طيلة تلك السنوات كان يجمع المال ويعدده تخشبت لديه الأحاسيس، وقسا القلب إن لم

يكن كالحجارة فهو أشد قسوة كان وكانه في حالة حرب وإعداد، ينتظر الساعة المناسبة لبدء الهجوم، من أجل الانتقام والثأر، ويبدو أنها قد أزفت الآن ساعة الصفر، ووقت الهجوم قد حل لذلك قرر السفر إلى لبنان، تاركا الشركات والأموال بعهدة ولديه، وليبدأ من هناك رحلة الانتقام أعلم والده بخير وصوله إلى بيروت، ففرح الأب غاية الفرح وقد اشتاق إليه، وجورجيت امرأة أبيه، وبمثابة الأم، والتي رأت فيه البديل عن ابنها المقتول فرحت بدورها فرحا لا يقل عن فرح الأب هما الآن في مرحلة متقدمة من العمر، لكنهما ما يزالان يحتفظان بشيء من قوة وامل وحب للحياة. في البدء أتى الأب لبنان خالي الوفاض عاجز مشلول مسروق، حتى آخر قرش من ابنه زهير انطلق أبوه في التجارة بأموال، كانت مخبأة لغدر الزمان في أحد المصارف السويسرية وساعدته جورجيت في تجارته وتعاونا على البدء من جديد. وها هو الآن تاجر ناجح مليء. لا

يقل مالاً عما كان في دمشق. ثم شاء القدر أن تحترق طائرة زهير ومعه زوجه ويونس الخوخة، رأس الحية التي دمرت الأسرة (من معه يعطي ويزاد) وها هي الأموال تعود نامية متكاثرة وهاهم الذين سرقوه قد احترقوا فيا لسخرية الأقدار

وحان موعد وصول طائرة ياسر فاستقبله أبوه مع جورجيت فرحاً في المطار. ارتمى على صدر أبيه وبكت جورجيت وهي تحتضنه ، كانت ساعة حميمية لا يمكن وصفها. عادوا إلى بيروت الشرقية فرحين الآب وحده كان في قلبه حزن (لقد احترقت يا زهير، و يا ليتك كنت معنا تشاركنا الفرح، و يا ليت يديك بقيتا نقيتين طاهرتين، لكنت شاركتنا أحلى اللحظات في أي تراب دفنت؟ وهل أبقت منك النار شيئا ليدفن؟ ماذا نفعت الأموال، وهل ردت عنك الموت؟)

ووصلوا إلى الدارة ظهراً للأماكن حميمية كما للأحباب، ففي هذه الدار التقى بأروع أم عوضته الحنان، وفيما بعد رعت أباه الذي هبط بيروت عاجزاً مشلولاً ، ثم شفي بالعناية والرعاية والتطبيب والتأهيل، فعاد كما كان تزوج وتاجر وعاش مع جورجيت بسعادة لم يكن ليتوقعها، ومن العجز والشلل قام لم يتغير شيء في الدارة ماعدا أزهارها التي تكاثفت بنضارة واشجارها التي كبرت وعمرت حتى عصافيرها بدت شابة - كما عهدها - نشطة مفردة. هل مازال صابر زارع الورد والأمل يتردد إلى حدائقها. وهل تخرج أولاده الأطباء وعاونوه على أعباء الحياة؟ شعر بأن الدارة فرحة لقدومه والورود ترقص سروراً لعودته.

بعد استراحة قصيرة، شربوا فيها القهوة وتناولوا بعض الحلويات قال ياسر وهو يخرج من حقيبته أوراقا ومستندات موجها الكلام لأبيه

- هذه الوثائق تبين مقدار الميراث، وكيف نميناه واستثمرناه واستفدنا من فوائده. وهذه الأموال كلها من حقك يا أبي لأن

المرحوم زهير، قد حولها إلى صالحه غدراً، وقد كانت لك.

سبق أن قلت : إن الميراث كله من حقك، وحق ولديك، وإن كان

لي فيه حق فأنا متنازل لولديك عما يخصني .

لم ينظر الأب إلى الحسابات، ولا إلى الوثائق بل سأله

هل ستبقى معنا أم أنك ستغادر بعد فترة الزمن

لقد قررت البقاء في بيروت، ولكن لا يمنع ذلك من أن أزور ولدي بين فترة وفترة، واطلع على أحوال الشركات والمصانع وأتأكد من حسن الإدارة ثم أرجع إلى بيروت.

قالت جورجيت:

ماذا تنوي أن تعمل في بيروت؟ هل ستشتغل بالأعمال الفكرية، أم بالأعمال الاستثمارية؟

اريد إصلاح المنكر.

الجواب غريب هل هو هزر؟ أم زلة لسان أم كلام متزمت مغرق في التراث

قال الأب :

لم أفهم يا بني ماذا عنيت هل ستنشئ جمعية خيرية؟

لا. ليس الأمر كذلك، وإنما في مسيرة حياتي شاهدت أخطاء حدثت عانيت منها . أناس أساؤوا إلي منكر لم استطع تقويمه، والآن أملك إصلاح الأخطاء القديمة المنكرة كلها سأنتقم ممن ظلمني لذلك قلت أريد إصلاح المنكر.

- لقد أوغلت في الزمن يا بني، وكبرت وصعب علي الآن فهم فكرتك، وماذا تعني؟ أعطني مثالاً لما تريد عمله.

لقد اشتغلت فيما مضى بمكتبة الأفق الواسع)، وكانت تضم آلاف الكتب القيمة، كانت أكبر مكتبة في بيروت، بل في الشرق الأوسط كله من خلالها ... وأثناء عملي فيها ألفت كتباً وشاهدت اناسا مهذبين جادين طلاب علم ينهلون من معارفها ومراجعها، فسعدت لسعادتهم واتخذت بعضهم أصدقاء.

واستمر ذلك حتى وفاة صاحبها، الذي كان صديقا للشيخ حامد الأغبر فورتها أبناؤه وحولوها إلى كازينو ومرقص وخمارة، وبدلت شمارها، إلى العهر والتهتك والضياع وارتكاب الموبقات، أريد إعادتها مكتبة كما كانت اليس هذا تقويم منكر؟

قالت جورجيت:

وماذا غير ذلك؟

أريد تصفية حسابات مع جويل، فثمة فاتورة لم تسددها بعد.

فهمت جورجيت أنه جاء للانتقام، فقالت:

كن من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس من ضريك على خدك الأيمن أدر له الأيسر.

- فيما مضى كنت كذلك، ولم أحصد سوى الخيانة والخذلان

بعد فترة صمت سأل ياسر چورجيت:

هل في بيروت شركات للعلاقات العامة ؟ أو على الأقل مكاتب علاقات عامة تعنى بالشأن الاجتماعي، وتسهيل أمور الناس على الصعد كافة؟ هي نوع من السمسرة.

على ما أعلم يوجد مكتب حسين الألبنضا) متخصص وبشكل واسع في العلاقات العامة. لأنه فيما مضى خدم في تحريات الجرائم في نيويورك، ثم استقال وأصبح مدير فندق هام. وبعد ذلك اشتغل في الاستثمار العقاري ثم عاد إلى بلد آبائه بيروت ليفتتح مكتباً في العلاقات العامة.

ما نطاق عمله ؟

سمعت أنه نطاق واسع. يبدأ من مراقبة الزوجات لأزواجهن.

أو العكس، والذين يشكون بسلوكهن، وحتى تسهيل البيع والشراء، وسمعت أنهم يسهلون زواج العوانس وما إلى ذلك. ولكن لماذا تسأل؟

قد استعين برجالهم لقضاء حاجاتي

في اليوم التالي زار ياسر أصدقاءه أبو أرز وزوجته سعاد وأمها ديعة حتى إنه ذهب ليقص شعره في صالون ناصر للحلاقة. وقد ٨٤

وجد صديقه الناصري القديم جواد شبروم هناك، والذي سعد كثيراً لرؤيته.

وسأله ياسر:

كيف تمضي أيامك في هذا الزمن؟

- كما ترى لقد امتد بي العمر، ولا استطيع العمل. ويساعدني في الصالون وكيلي جورج، لكني أمضي معظم أوقاتي في القراءة.

لقد فاتتني الثقافة كما تعلم. ولقد دخلت معترك السياسة دون كبير علم أو تراكم ثقافي وها أنا الآن أعوض ما فاتني، رغم أنني أعرف أني لن استفيد من هذه الثقافة في سياسة أو عمل مستقبلي، لكن على الإنسان أن يتعلم إلى آخر يوم في حياته.

- صدقت يا جواد، وحسناً فعلت ولكن من قال إنك لن تستفيد من ثقافتك؟

- فات الأوان ولم يبق من العمر إلا أقله.

على الإنسان أن يعطي حتى آخر يوم في عمره. هل تستلم أمين سر مكتبة كبيرة في بيروت لقاء راتب لا بأس به

- أرغب في ذلك بدون راتب لأنني سأعيش بين الكتب التي طالما افتقدتها.

سيكون لك رئيس.

لا يهم، نتعاون معاً في إنجاح العمل، ولكن من هو هذا الرئيس؟

- ربما أبو أرز هل نسيته بل ربما رئيسة؟

لا لم انسه وقد أصبح شاعراً مشهورا وتزوج من عراقية تدير فضائية انطون شركس، وقد التقيته مرة وتحادثنا طويلا وحكى لي عن عملكما في العراق وعثورك على ولديك، وأخبرني أيضاً أنك تقيم في رومانيا.

- ها أنت تعرف كل شيء عني، سيكون أبو ارز مدير المكتبة، وأنت أمين سره، وأنا لم أفاتحه حتى الآن بالأمر، لكني اعتقد انه سيوافق، وإذا رفض فثمة إنسان آخر وقد تكون أنثى.

لا يهم من يكون المهم أن أشبع هوايتي في الثقافة والفكر. أين هي المكتبة ومن صاحبها ؟

هي في بيروت الغربية، وأنا سأكون صاحبها.

ضحك جواد، وقال:

إلى أن تشتري المكتبة، أكون أنا قد مت.

ضحك ياسر، وقال:

بل ستعيش يا جواد، حتى تكتمل ثقافتك، أما زلت مصراً على إزالة قلعة حمص من مكانها ؟

ضحك جواد شبروم من كل قلبه، وقال:

- أما زلت تذكر ذلك؟ في تلك الأيام، كانت مراهقتنا السياسية. ورغم ذلك كانوا بحاجة إلى أمثالنا.

- وفي هذه الأيام؟

نعيش عنوستنا السياسية، بل قل شيخوختنا، من المراهقة إلى المرحلة الحيزيونية)، بل وصلنا إلى أرذل العمر في كل شيء.

- ضحك ياسر ضحكاً، كان قد نسيه في زحمة الماسي التي مرت عليه، وأصابه مرح عظيم، فقال:

انت في أول الشباب، وخير من يصلح للإنجاب.

ا في هذا العمر أصلح للإنجاب؟ في أوله لم أفلح.

ضحكا كثيراً وتواعدا على اللقاء دورياً.

وذهب ياسر إلى مكتب العلاقات العامة للقاء (حسين الألبنضا) فتلقاه بالترحاب، وطلب له فنجان قهوة ثم قال لياسر:

ما المطلوب ؟

- أريد شراء كازينو الموج الهائج، الذي كان في يوم ما مكتبة ضخمة، اسمها (الأفق الواسع).

ضحك حسين الألبنضا، وقال:

نصيحة لوجه الله الاستثمار في الكتب تجارة بائرة .

ابحث عن التجارة البائرة، لتبديد أموالي.

- إذا كان الأمر كذلك ... أمهلني أسبوعا، واترك لي رقم هاتفك

أريد خدمة أخرى.

- ما طلبك؟

اجمع لي معلومات عن صحيفة بابل لصاحبتها جويل الناصوري، وكذلك عن فضائيتها BBC

لماذا؟ أتريد الشراء أيضاً؟

نعم.

المحطة والصحيفة تنحدران، وجويل في مأزق وضائقة اقتصادية ومالية كبيرة، ومن المحتمل أن تحقق هدفك سريعاً ، وقبل شراء الكازينو.

- أريد معلومات شاملة عن جويل نفسها.

هل تريد الزواج منها ؟ لقد تركها زوجها القنافي، وسافر إلى العراق، ولم يعرف له أثر.

- إذا حكم النصيب، يمكن أن يحدث ذلك.

غادر إلى مكتب أنطون شركس فرحب به أشد الترحيب

وقال :

هل عدت للإقامة الدائمة، أم مجرد زيارة؟

عدت الأنا فسك وأصبح غريم مهنة واتمتع بجمال بيروت

الصحيفة أمامك تنتظر قيادتك هلم فبادر. أما الفضائية متقودها سعاد، ولن أبدلها بأي كان.

جئت استطلع اخبار جويل

- إنها في ضائقة مادية، وتفكر في بيع الفضائية والصحيفة.

ماذا أصابها ؟ ولم وصلت إلى هذه الحالة؟

انحدرت بالفضائية إلى مستويات مبتذلة، وركزت على الجانب الفني المبتذل، ظناً منها أن ذلك يعطيها مردوداً مادياً أكبر، و(المسيو) برهان هو الآن من يقود الفضائية، ويستغلها الصالحة.

كيف ذلك؟

- تعرف أن له خبرة كمخرج في (استديو) المسابقات، حيث تخرجت جمانه الهبر، وفازت كمغنية في ذلك البرنامج، ثم فيما بعد غيرت إلى الاسم الفني (ندى (الصباح) وتعاقدت مع ملهى تغني فيه بين السكارى . ثم تزوجت من مزيد الخشن الذي قتل دفاعا عنها من هجمات سكير كان ينوي اغتصابها. والذي شوه سحنتها تماماً، هو الآن يقود المحطة. وقد عمل برنامجا فيها يشبه برنامجه السابق لتخريج مغنيين ومطربين، يتعاقد معهم بعقود إذعان مدتها خمس سنوات يحتكرهم فيها. ويستأثر

بمردود غنائهم. والمشكلة أنه يبرم العقود باسمه وليس باسم المحطة أو صاحبتها، فتكون حصة المحطة تافهة.

من أرشده إلى المحطة، وكيف توظف فيها.

جاءت الأم تغريد مع ابنتها جمانة الهبر تشكوان ضيق ذات اليد وتطلبان المساعدة من أبي أرز، وأبو أرز شهم كما تعلم، وقد كان فيما مضى يوصلهما ليلاً بعد انتهاء العمل في الملهى إلى بيتهما ليناما. فقدمهما إلى جويل، فوظفت الأم تغريد في برنامج الأبراج والتبصير، ومعرفة الغيب والسحر وابنتها جمانة تساعدها في الظل. وبعد شهور قدمت

تغريد (المسيو) برهان وهو عشيق سابق لها. وكان قد وعدها بالزواج، ثم أقلع عن الفكرة وانسحب. أعادت معه العلاقة وقدمته إلى جويل، فتوظف بدوره عندها، ومع الأيام أقنعها بتحويل المحطة إلى محطة فنية بالمعنى المبتذل للفن. فهبط المستوى والمردود. واستفاد هو من العقود، بل أثرى على حسابها. لقد فشلت جويل في إدارة المحطة، كما استغلها برهان عندما أسندت إليه إدارتها، وتنوي الآن بيعها، ويمكن لك أن تشتريها بثمن بخس إن أردت، وتحولها إلى محطة إخبارية وثقافية واجتماعية .

لماذا لا تشتريها أنت؟

تنقصني السيولة، والكادر .

بالنسبة للسيولة متوفرة. ولكن هل يمكن تأمين الكادر الكفء.

الاعتماد على المدير قبل كل شيء .

ماذا تقصد ؟

الأمانة والإخلاص وقوة الشخصية، وما عداه يمكن استدراكه.

هل تقترح مديراً؟

يمكن أن أبحث لك عن مدير كفء.

هل يصلح أبو أرز مديراً؟

يمكنه ذلك، وقد أصبح شاعراً مشهوراً وقديراً، وقد أساعده ببعض التوجيهات في أول الأمر.

من يمكنه أن يفاتحها برغبته في الشراء. ربما تظن أن الصفقة لصالحي فتقلع عن البيع. وهي تدرك أن أبا أرز لا يملك المال الكافي

سأرسل رجلا غير معروف ليشتريها لصالحك

- أرجو أن يتم الأمر سريعاً.

خلال أيام وتصبح المحطة لك.

واشترى ياسر المحطة بواسطة وكيل دون أن تدري جويل أن المشتري الحقيقي هو ياسر الخوخة نفسه.

عندها طلب من أبي أرز أن يكون مديرها، وأن يتدرب قليلاً في محطة انطون شركس ويتلقى منه التوجيهات لفترة، حتى يتقن الإدارة فوافق وشجعته زوجته سعاد على ذلك، ووعدته بالمساعدة كما زوده أنطون شركس بطاقم فني جديد، ووضع ياسر منهاجاً للمحطة وأهدافاً، فحولها إلى محطة إخبارية وثقافية ورفع من سويتها، وأنهى ياسر عمل (المسيو) برهان مستغنياً عن خدماته، ثم سرح تغريد وأنهى برنامج السحر والشعوذة والأبراج التافه. وكان يقصد عقابها على ما صدر منها فيما مضى من تركها

زوجها يموت في حلب، وكان بحاجة إلى من يرافقه ليغسل كليتيه. ولم تحضر موته، أو تزر قبره فيما بعد. وكونها السبب في تحول رفيقه مزيد إلى بلطجي، وإلى تنكره له وهروبه منه، ومن ثم موته بالشكل المأساوي وآخر خطاياها البحث عن ثروة مزعومة من ميراث غير موجود ، فلم يكن مزيد يملك سوى دراجة هوائية. لم يشفق ياسر عليهما ، وقد أصبحا بدون مورد. فالمنتقم عليه أن يطرد الرحمة من قلبه، ليأخذ الانتقام مفاعيله وزخمه واكتفت جويل بالجريدة التي تهلهل كادرها، وانحط

مستواها، ولقد استاءت كثيراً، عندما علمت أن المشتري الحقيقي لمحطتها، هو ياسر الخوخه نفسه والذي غير اسمها إلى العين بالعين)، وهو اسم استغربه الوسط الفني وحبذه آخرون.

وذهب ياسر إلى مدير المالية في بيروت ، يستفسر عن تبرئة ذمة المحطة ، عن المرحلة السابقة، حيث كانت جويل تملكها . فوجد أن

للمالية مبالغ كبيرة واستحقاقات ضرائب لم تسددها جويل فأوعز إلى المدير طالبا تحصيلها، لأنه غير مسؤول عن الفترة السابقة، وقد أصبحت المحطة الآن ملكاً له. واستجاب المدير وحجز على الجريدة، وعلى كل ما تملك جويل.

وفوجئ ياسر يوماً باتصال من جويل، يقول:

ياسر، هل تريد شراء الجريدة؟ فالمالية قد حجزت على أموالي كلها ! ولا استطيع التسديد إلا ببيع الجريدة.

قال ياسر:

بكم ستبيعينها ؟

- - المبلغ نفسه الذي تطلبه المالية، ولكني أريد المبلغ في الحال.

فأعطاها المبلغ واشترى الصحيفة وسددت الضرائب؛ لكنها أصبحت خالية الوفاض، ولا تملك شيئاً ، فاضطرت لبيع بيتها ، واستأجرت غرفتين لسكنها ، بينما تتدبر أمرها، وعرض عليها ياسر أن تتوظف عنده في الصحيفة، التي كانت لها. إمعانا في إذلالها، وتأكيداً للانتقام. فرفضت ذلك مفضلة الجوع على الذل وبدأ صدر ياسر يشفى قليلاً من الغل، فذهب مجدداً إلى مكتب العلاقات العامة، وقابل مديره حسين الألبنضا، وسأله عن اتصالاته وعن نتائج ما أوصاه فقال:

المساعي ما تزال قائمة.

لقد اشتريت الصحيفة والفضائية ، وانت ما تزال تغط في نومك، ركز لي على (الكازينو) لأني سأحوله إلى مكتبة.

وفي غضون شهر، كان الكازينو ملكاً لياسر وبشهر آخر حوله إلى مكتبة ضخمة، مثلما كانت حينما كان هو مديرها بل إلى أفضل مما كانت المشكلة الآن في إيجاد المدير الكفء. عرض الأمر على الشيخ حامد الأغبر فقال:

- إن ابنتي خزامى قد تخرجت من الجامعة باختصاص مكتبات وآثار، وهي تعمل الآن في المكتبة الوطنية ببيروت، وقد اكتسبت خبرة في الإدارة لا بأس بها.

كنبع رقراق، يجري بين ضفتي جدول تحيط به أزهار الخزامي ذهبت إلى هناك روحه. أين كان ذاك الإحساس مختبئا فظهر ما أروع طلة الخزامى وما أنضرها !

كيف نسيها في زحمة الزمن القائم الانتقام ذلك الفكر السلبي، الذي يهدم صاحبه قبل أن يهدم غريمه هو ما أنساه الحلم الجميل. زمن الأحلام مضى. وها هو يعود ومعه ألق الحياة والحب تبدد حقده وتلاشى الانتقام.

قال ياسر مخاطبا الشيخ:

هذا أحلى خبر أسمعه. ويبدو أن الأقدار تساعدني في مسعاي الجديد. ما رأيك يا مولانا ، لو جعلنا جواد شبروم، محاسباً ومساعداً لها.

في ذلك كل الحكمة، ولكن هل عرضت الأمر عليه؟

المحت له بذلك، ولم أكن قد اشتريتها بعد لكنه وافق.

ولكن قل لي : لماذا فعلت ذلك؟ أعني شراء الكازينو وتحويله إلى مكتبة؟

- أنت قلت مرة يا شيخ حامد (من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)

هذا قول نبينا الكريم

كنت يوم مات الأب مالكها ، مديراً للمكتبة، ولا أنسى يوما جاء فيه أولاده، ينهون عملي كمدير، لأنهم يريدون تحويلها إلى كازينو، قالوها بكل فظاظة تمنيت حينذاك لو

كنت أملك النقود ، لأشتريها ، فقد كان عملهم منكراً بكل المقاييس الدينية والأخلاقية والاجتماعية؛ ولأن موقفي كان ضعيفاً جداً. اكتنيت بالاستنكار بقلبي دون لساني، لأنني لو جابهتهم يومذاك بلساني لأهانوني وذلوني واليوم جئت مسلحاً بالمال فقهرتهم وقهرت أمثالهم.

أرزاق بعض الناس، وأنت لم تمكن أكثر من شهور في بيروت.

فكيف سيكون الأمر لو تابعت المنهاج نفسه سنوات: (لا تحاسبوا حتى لا تحاسبوا، ولا تدينوا لئلا تدانوا الديان الوحيد، هو الله الذي يدين ويحاسب، لأنه رب البشر. أما أنت فاسلك سبل الخير وأحسن لمن أساء إليك

ذكرتني بأقوال الأب أنطون.

لقد أتى الأب أنطون إلى بيروت وزارني كنت لا أعرفه لكنه قال لي: لقد عرفتك من أحاديث ياسر الخوخة عنك. كنت حاضراً بيننا دوما، حتى عظة الأحد كانت مشتركة النصوص بيني وبينك. إنه رجل مؤمن؛ لأنه كما جاء في الكتاب: لتجدن أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قسيسينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . لقد كان في منتهى التواضع الجم

لماذا جاء بيروت؟

جاء لنقل أموال القناقي إليه فأدخلها في ذمته ليصرفها على احتياجات المجاهدين .

القناقي فعل ذلك ؟! كنت أبحث عن طريقة للانتقام منه.

ألم أقل لك أن العفو هو الطريق الأصلح . كان بإمكانه أن يفر بالمال، لكنه مازال بين المجاهدين كواحد منهم بصراحة أشعر بتأنيب ضمير بعد قولك هذا لأنني سرحت تغريد وابنتها من عمل كانتا تعيشان منه.

لقد مشتا في طريق هو أقرب للاحتيال منه لأي شيء آخر، رغم ذلك لا يحق لك محاسبتهما، إذا أردت أصلح أفكارهما، ودلهما على سبل الرشاد، دعني اختر لهما عملا شريفاً مفيداً لهما وللناس ليكسيا مالاً متقوماً، يعني مال أتى من خدمة الناس وفائدتهم، لقد كانت تنجم وتبصر، وتكذب على الناس وكانها تعرف المستقبل، كانت تحض النساء على السحر والخزعبلات لذلك كان راتبها غير متقوم لأنه آت من تسويغ الكذب والضحك على الناس

هل يمكن أن توظفهما في المكتبة دعني أفكر في الأمر.

فيما بعد وافقت تغريد وجمانة على العمل في المكتبة كعاملتي تنظيف، لقاء راتب يكفيهما للعيش، لأن ابن تغريد الذي يعمل في أحد مطاعم السويد، قد فقد عمله، ولم يعد يرسل لهما نقوداً و انقطعت اخباره يا لصروف الدهرا

تسلم أبو أرز إدارة الفضائية (العين بالعين واثبت جدارة وغير ياسر اسمها فيما بعد. فسماها : (فضائية المحبة للجميع) وارتفع مستواها، فكانت تعقد الحوارات في الأدب والسياسة، وعلم النفس وأصول التربية، وتظهر الرأي والرأي الآخر، فالتف حولها الأدباء والمفكرون والسياسيون من مختلف الألوان، كما أنها أخذت خطاً وطنياً غير طائفي، على عكس ما درج عليه بعضهم في لبنان. فكانت تدعو إلى إلغاء الطائفية السياسية، وإحلال المواطنة بدلاً عنها. وهذا لاقى ارتياحا لدى الجميع، فارتفع مستواها. وعلى النهج نفسه سارت الصحيفة، التي صارت تسمى (فجر النور الجديد)، وصار يكتب فيها كبار الساسة الشرفاء، وأصحاب العقول النيرة من الأدباء

كل ذلك دعا جويل إلى الشعور بالغيرة والحقد والحسد. وقد عانت جويل من فقر وعوز، حتى إنها اتصلت مرة (بالمسيو) برهان الذي أصبح غنيا بفعل العقود التي أبرمها مع المطربين الناشئين، واحتكرهم فيها فقال لها :

هل ترضين يا مدام، أن تكوني مديرة أعمالي؟

كانت تعرف أنها ستتحول إلى سكرتيرة لقواد قديم، وأنها ستجرع الذل حتى الثمالة. لكنها وافقت تحت ضغط الحاجة فالجوع كافر والقناقي ضاع أثره فلم تعلم عنه شيئاً، وكان أبو أرز يعدها ببعض المال حتى بلغت ديونها رقماً كبيراً، وهذا أحد الأسباب التي دعتها لقبول الوظيفة عند المخرج العجوز برهان .

وقد علم ياسر بالأمر، فقال في نفسه : (هذا حصاد الخيانة والطمع).

وقد أعاد ياسر للمكتبة اسمها فسماها مكتبة الأفق الواسع) وسلم إدارتها إلى خزامى ابنة الشيخ حامد الأغبر، التي ارتاحت لأنها أصبحت تحت كنف ياسر الذي عشقته من سنوات وكتمت عشقها، ورفضت كل من تقدم لخطبتها.٩٩

(٦)

عاد الأب أنطون من لبنان فوصل إلى العراق، وقد أصبحت الأموال كلها باسمه، بعد أن تم نقلها من حساب جبور القناقي إلى حسابه الذي فتحه لهذه الغاية استغرقت العملية أسابيع قضاها في لبنان والأردن القسم الأكبر كان في لبنان استمتع بزيارة الكنائس والأديرة القديمة. والتقى بأشخاص يتعرف إليهم لأول مرة، بعد أن كان قد. سمع عنهم

من أشخاص مروا بديره أعجب بأبي أرز الذي انتصر على محنته، واكتشف موهبته، ولولا حادثة تفجير السيارة المفخخة، والنقاهة التي أمضاها في بيت أهل سعاد

لما كان قد اكتشف موهبة الشعر لديه، ولعله لم يكن ليحب

(سعاد) نفسها. أحياناً تكون المحن بابا للخير، ونافذة للأمل . فلم

نكره الامتحان ولا نصبر؟ مع أن فيه نجاحنا الذي هو مبعث

سرورنا ، ومفتاح مستقبلنا، وسعاد هذه التي مرت بأقصى أنواع

الألم، واغتصبت من جندي أمريكي أسود أمام عيني حبيبها ، تجاوزت مأساتها، وهي تستلم الآن مديرة فضائية أنطون شركس وقد أثبتت حضورها ، كافضل ما يكون. إذا يمكن إصلاح كل شيء إذا توافر الإيمان والإرادة والتصميم لنيل الهدف أما جويل التي لم تعطه الكثير من وقتها، فقد تهيا له أنها ليست هي التي عرفها في الدير، وليست هي التي حضرت القداس، فمن هي الآن يا ترى؟

واستمتع الأب أنطون أكثر ما استمتع، بلقاء الشيخ حامد الأغبر. وكان قد سمع من ياسر عنه الكثير. ولو لم يكن الأب انطون، يعلم أن ياسراً إنسان علماني، وربما كان في يوم ما مشكوكاً في إيمانه، لكان قال عنه الأب أنطون إنه أحد مريدي الشيخ حامد الأغبر لكثرة ما كان يردد من أقوال حفظها عن الشيخ ومرة ظن الأب أنطون أن ياسراً منفصم الشخصية أحياناً لأنه كان يبدو له أنه مغرق في إيمانه الديني إغراقاً كبيراً. يحفظ من الآيات والأحاديث، حتى يظن سامعه انه مشروع رجل دين. ثم يعود في أحايين أخرى، ليظهر علمانيته حتى يظن سامعه أنه على ضفة الإلحاد لقد سعد الأب

أنطون بلقاء الشيخ حامد. وتمنى لو يشاركه الدير في العراق، أو يقتسم معه المسجد في بيروت. ما أروع الأديان حين تلتقي على المحبة ! فلا يلغي أحدها الآخر. بل تتكامل

كما جرى للأب أنطون والشيخ حامد الأغبر، وكذلك كان انطباع الشيخ حامد عن الأب أنطون .... أن تحب إنسانا من القلب معناه أن هذا الإنسان بدوره يحبك أيضاً من القلب. أما السر في تأليف القلوب فلا شك أنه الإيمان اليقيني المشترك بالإله الواحد.

غادر الأب أنطون لبنان ، وحمل معه زادا روحياً ، وأملاً عظيما بقدرة الإنسان على الارتقاء. أو إمكانية انحداره إلى الخواء ، كما في مسيرة جويل لأسباب لم يتبينها بعد.

ووصل إلى الدير عصراً. كان القناقي نائماً، فاستراح الأب أنطون قليلاً حتى استيقظ القناقي من نومه، فوجد الأب أنطون أمامه.

وكانه يفاجأ بخبر سار. قال:

حمداً لله على سلامتك هل نجحت الجهود، وأصبح المال كله بحسابك.

نشكر الرب، فقد يسر لي أمري وإن كنت قد لقيت بعض المشاق. لكني وجدت أن المبلغ أكبر مما تصورت.

نوهت لك بذلك قبل ذهابك، وسجلته في الشيكات.

عندما أصبح في حسابي، أدركت ضخامته.

من صادفت في طريقك، ومن زرت؟

- زرت الشيخ حامد الأغبر، وشاهدت محبيه ومريديه. إنه يتمتع باحترام عظيم. وقد وهب الحكمة والإجلال وزرت أبا أرز وزوجته سعاد والأم بديعة. وقد احتفوا بي أيما احتفاء. وأصروا على نزولي في بيتهم رغم أنني كنت قد حجزت في الفندق فوافقت ونعمت باحاديثهم. واطلعت على أفكارهم وأحلامهم في حياتهم فواجع وجروح عميقة. لكنهم ما يزالون يؤمنون بالحياة أصابتهم الأحداث بشروخ، لكنهم شفوا منها بالإرادة والإيمان والصبر الآن أبو ارز شاعر مشهور، أهداني بعضاً من دواوينه، إضافة إلى أنه أصبح شخصية اجتماعية. أما سعاد زوجه فهي محرك فضائية انطون شركس بل هي مديرة المحطة الفضائية الحقيقية تصور رغم السعادة والعز والمال يحلمون بالعودة إلى العراق، ليناضلوا أو يجاهدوا ويقدموا الدعم من أي سبيل يستطيعون لإخوانهم. وليشاروا من مضطهديهم، وممن ظلموهم فلا يشفي صدورهم سوى ذلك.

هل زرت جويل؟

كانت مشغولة، لكنني شربت فنجان قهوة في مكتبها ، قبل أن تعتذر، وتذهب لموعد هام. وقد أوكلت أمر تسيير المحطة

إلى (مسيو) برهان المخرج لبرنامج نجوم الغد، لاشك أنك تعرفه.

ووجدت انه غير محمود السيرة ... سألتني عنك وعن موعد عودتك فقلت أظن أنه لن يعود قبل أن يتحرر البلد.

حسنا فعلت، فقد لا أعود أبداً.

لماذا ؟

لقد اتخذت قراراً خطيراً سأخبرك به فيما بعد. لقد أجبرني القدر على اتخاذه

لقد ذهبت بي الظنون مذاهب شتى. هلا أفصحت عن ذلك الآن ؟

لقد قررت الاستشهاد ، تكفيراً عن أثام لحقتني، ولم أكن اقصد اجتراحها

هل هي خطايا ؟

أكبر من الخطايا نفسها .

لا يوجد أكبر من الخطايا. سوى التحول إلى حظيرة شيطان رجيم .

- لقد حولوني إلى حظيرة الشيطان الرجيم قسراً وغصباً.

التحول. لا يقسر الإنسان أحد أو سلطان أو قوة إذا كان هو لا يريد

- بل يوجد الشهوات القابعة في ظلمة أنفسنا. إنها شيطاننا المتربص بنا دوماً.

عليك أن تقص علي الأمر كله الآن. فهذا الكلام خطير، لا يؤذيك انت فقط، بل يمكن أن يدمر كل من حولك.

اسمع يا أب أنطون، إن الذي سأرويه خطير ويجب أن يبقى سراً بيننا وبعد موتي أنت حر في إفشائه أو عدم إفشائه.

إنك تتكلم عن الموت كثيراً. ولا أدري ما السبب.

لقد تعرضت أثناء إقامتي في بيروت، إلى خدعة سافلة غيرت مجرى حياتي كلها .

كيف حدث ذلك وما الأسباب؟

جاء شخص يريد وضع إعلان في جريدة جويل إعلان هو في حقيقته رشوة مقنعة.

حكى للاب انطون الوقائع كلها.

فقال الأب انطون:

من قال إن هذه رشوة مقنعة أو غير مقنعة. إنه من ضمن أعمال الصحيفة، والرجل دفع ما اعتقد أنه حق. فاين المشكلة؟

المشكلة : أنه جاء فيما بعد، رجل مرسل من قبل السفير الذي كان قد وضع الإعلان. هذا الرجل دعاني إلى مقابلة السفير وقال: إنه يريدني في الحال لأمر هام لا يعرف ما هو.

- وهل ذهبت؟

نعم ذهبت ويا ليتني لم اذهب، فلقد تسبوني إلى حزب الشيطان قسراً

هذا ليس صحيحاً لو لم تكن عندك الرغبة الكامنة في داخلك لما قبلت .

- لا أنكر ذلك فقد شجعني الشيطان على جشع غير مسوغ بل ما كان علي حتى أن أفكر به، لقد حلمت بأعلى المناصب على حساب دماء الشهداء.

حكى ياسر للأب أنطون كل ما جرى معه في السفارة، من طقوس وما تلا ذلك من تعليمات، يتوجب عليه تنفيذها، وإلا فسوف يقتل، أو يحرق. فبدأ بتنفيذها، ومن نتائجها نجاة جنرال أمريكي من كمين محكم ومدروس وشى جبور بالعملية، ففشلت العملية ونجا الجنرال.

وماذا جرى بعد ذلك؟

اعتكفت في الدير، ولازمت الطبيعة مستلهما الحل واستمعت إليك تحكي عن الخيانات التي ارتكبت عبر التاريخ، ثم توصلت إلى حل.

ما الحل ومن أرشدك إليه؟

الضمير الذي استيقظ متأخراً كان المرشد. والطبيعة التي أعادتني إلى البراءة والفطرة كانت الملهم. يومها أدركت حجم الخطيئة التي لا يطهرها سوى الشهادة، ولذلك أوعزت إليك بالسفر ونقل الأموال، وكان هذا جزءاً من الخطة التي أسير على تنفيذها.

ما هذه الخطة؟

عمليه جهادية انتحارية.

هل ستقوم بتفجير سيارة مفخخة، وأنت فيها؟

تعرف أنني لا اؤمن بجهاد السيارات المفخخة، خاصة التي تفجر بين المدنيين، بل لا اعتبر هذا جهاداً، ولو فجرت تلك السيارات بالعسكريين المحتلين لكان يمكن للمرء إيجاد بعض المسوغات. لكن أغلبها يكون في المقاهي أو المساجد وبين المدنيين وغالباً ما ينفذها عملاء المستعمرين أنفسهم أو أذنابهم أو مجموعات طائفية ظلامية غير معروفة المنشأ.

- إذن كيف تنوي أن يكون العمل الجهادي؟ تقول إنه انتحاري

- سأفود مجموعة فدائية إلى المنطقة الخضراء، بلباس مدني، وتخفي السلاح ثم ننقض عليهم نسبة النجاة للمشاركين فيها صفر. لذلك قلت عملية انتحارية.

لا تسميها هكذا فقد تكتب لك شخصياً نجاة، أو لبعض من سيشترك معك فيها نجاة أيضاً، خاصة إذا خطط لها بشكل جيد ومحكم .

سأخطط لها بإحكام، ولكن خطيئتي لا تمحى إلا بموتي.

- لا تقل ذلك، فمجرد الرجوع عن الخطيئة غفران. وإذا كتبت لك الحياة، فستقود جماعتك إلى انتصارات أخرى . أما إذا مت فقد انتهت أعمالك وانعدم إنجازك.

- استغفر لي فأنا بحاجة إلى الغفران

الضمير الحي فيك موجود ويقظ، وإن كان قد غاب يوماً أو تخدر، لكنه عاد أشد عزماً وأكثر إصرارا على التصحيح.

لا تخبر بهذا الاعتراف أحداً، إلا بعد موتي.

ستعيش ولو كنت في عين العاصفة، إن كان لك عمر.

مر أسبوعان، التقى خلالهما القناقي بمجلس الشورى وعبر عن فكرة اقتحام المنطقة الخضراء عن طريق التسلل. وطلب متطوعين فدائيين يعرفون خطورة العملية،

ويرضون بالمجازفة، أناس يطلبون الشهادة ويستعجلونها. فأبدى أبو الحارث استعداده لمشاركته في هذه العملية.

قال القناقي:

أنت ستبقى لتقود المجاهدين بعدي فعندك الحنكة والخبرة.

وعندك الحكمة وسداد الرأي. كما أن عندك أسرة وأطفالا في دير الزور، ينتظرون عودتك.

وتطوع مع القناقي، عشرة رجال يطلبون الموت من أجل الشهادة، وبدؤوا التشاور

قال طاهر (وهو شاب متحمس ينشد الشهادة ويستعجلها)

- هناك سيارة (خضار)، تدخل المنطقة في الظهيرة، نستولي عليها قبل دخولها المنطقة الخضراء، وأقودها مستغلاً هوية قائدها، الذي سيبقى محتجزاً لما بعد انتهاء العملية، تتخفى بين الخضار ونتموه. وندخل مطعم ضباط الجيش الأمريكي، الذي يجتمعون فيه وقت الغداء . هذه فرصة لاقتناصهم في مكان محصور عند ذلك تبدأ العملية بقتلهم وإمطارهم برصاص لا يعرفون مصدره ولا اتجاهه. يوجد بين الضباط حراس سجون، وعبد أسود مغتصب هو الذي نكل بالسجناء واغتصب الحرائر. هو من فعل ذلك بسعاد، وأبي أرز.

تذكر القناقي في تلك الساعة سعاداً وأبا ارز. لقد شهد أبو ارز عملية اغتصاب سعاد، التي أحبها وهام بها. وسمع صراخ فض بكارتها.

لم يتحمل الموقف، فغاب عن الوعي وفقد النطق، وكانت تلك المصيبة سبباً في تركه، وإطلاق سراحه، لأنه لا يستطيع الإدلاء بمعلومات.

أطرق القناقي طويلا، ثم قال:

- والله إنها لفكرة رائعة، وسننتقم ممن اغتصب حرائرنا ، وعذب أسرانا .

وبدأ الرصد وجمع المعلومات، وتعرف أحد المجاهدين على أحد الحمالين في سيارة الخضار فصادقه، وجمع عن طريقه المعلومات.

في ساعة الصفر استولوا على سيارة الخضار، وعلى هويات الطاقم كله، لأنهم قد يحتاجون إلى ذلك كجواز مرور من الحواجز، وتموه الرجال بين الصناديق، ودخلت السيارة المنطقة الخضراء، وتوقفت عند نادي الضباط. وكان الضباط مجتمعين يتناولون الطعام، فخرج المجاهدون من السيارة مع مدافعهم الرشاشة وفاجزوهم. لم يعرفوا من أين أتواء الرصاص اغزر من وابل شلت حركة الضباط من المفاجأة الصاعقة. ارتبكوا وخافوا. حاولوا الاختباء تحت الطاولات. لكن ذلك لن يحميهم . فالرصاص غزير والمكان ضيق. وكان من بين الضباط من عذب أبا أرز، والأسود الذي اغتصب سعاد. فقتلوا جميعاً ولم ينج منهم أحداً، وسقط ثلاثة من المجاهدين، فوضعوهم بسيارة (الخضار)، وعادوا ليمتطوها مسرعين عند الحاجز، اطلقوا النار على الجنود ورموا القنابل اليدوية عليهم. فارتبك أفراد الحاجز وعجزوا عن تفسير ما يجري؛ لكنهم أطلقوا النار على السيارة المسرعة، أصيب بعض من فيها لكن الثوار المقاومين، القوا قنابل دخانية لإعماء من يلاحقهم من قوات العدو.

نجا القناقي ومعه خمسة، واستشهد الباقون. لقد أخلوهم بسيارة (الخضار) نفسها التي بقيت تعمل رغم إصابة صندوقها بالرصاص .

ووصل المجاهدون الباقون إلى مقرهم سالمين لم يصدق القناقي أنه نجا لقد تحققت نبوءة الأب أنطون

في اليوم التالي عاد القناقي إلى الدير والتقى بالأب أنطون

وقال:

- لقد نجوك كما بشرتني أيها الأب الطيب، لقد قتلنا من اغتصب (سعاد)، ومن عذب أبا أرز وأرجو أن أجد الوسيلة لإخبارهما.

في ذلك اليوم سبح القناقي بالبحيرة، وأيقن أنه تخلص من أوضار الذل الذي لحقه من سرداب السفارة. ومن الخزعبلات الوهمية، التي غايتها السيطرة على الضحية، وإخافتها لسلب إرادتها وتسييرها كدمية، لكن تهديداتهم لا تخيف سوى الجبناء هنا فهم القناقي مقولة اطلب الموت توهب لك الحياة). شعر انه الآن شخص جديد، إن الأمجاد التي حصل عليها الآن هي أكبر من كل كراسي الحكم لقد أصبح سيداً، وكان فيما مضى بطمعه عبداً ذليلاً. الآن تخلص من كل ذلك وأصبح حراً، وتذكر كلمة سمعها من حكيم (إن العبودية لله فقط. إنها تحررك من كل العبوديات، فتصبح شجاعاً لا تخشى أحداً وتعيش عمرك كله حراً أما إذا استزلمك إنسان مثلك وخنعت له، فإنك ستكون عبداً في كل حياتك، وستكون جباناً في كل مواقفك)

قبل شهور كان يخشى السفير، ويخضع للشيطان يخاف الغربان والجثث التي تقطر دماً اليوم يخشاه أسياد المحفل؛ بل يخشاه الشيطان نفسه. إن كيد الشيطان كان ضعيفاً. ما أشد ما كلن مخدوعاً بقوتهم اليوم يرى قوتهم أوهى من خيط العنكبوت.

لم يفرح الأب أنطون كما فرح اليوم. لقد كان في منتهى السرور، وكانه يشهد قيامة المسيح.

قال الجبور :

- لقد كنت ميتاً فحييت وكنت ذليلا بفعل الشيطان فتحررت ها أنت تقوم من بين الأموات، وتقهر الموت بالموت لقد انهزم الشيطان وعاشت بنا الحياة.

منذ ذلك لم يعد القناقي يترك سلاحه، لا يمضي أسبوع إلا يقوم بعملية ناجحة لقد انقلب جندياً لا يقهر، فعاش في قلوب المجاهدين بل في قلوب كل العراقيين، لأن صيته قد ذاع وشجاعته ملأت الآفاق ترك سياسة السعي نحو السلطة، فكانت تحبه القلوب. وهذه هي السلطة الحقيقية.

ووصل الخبر إلى المحفل فارتاع واحتار قال قائلهم:

هذه أول حالة نفشل بها. لقد غادر الخوف القناقي فبم نكبله ؟)

لم يعد للخوف معنى عنده، عندما تنتفي الشهوات ويتمرد الإنسان على شيطانه الداخلي، قبل شيطانه الخارجي يصبح حراً.

ولا يمكن لقوة أن تستعبده. كره جبور السياسة وعشق الجهاد.

كره الكرسي الذي قاده إلى وكر الأفاعي وأحب البراءة والضمير الحي لأنه بهما وصل إلى الحرية الكاملة . أدرك جبور أن الاستعباد الحقيقي، هو أن نستعبد من داخلنا، والحرية الحقيقية الا تستعبدنا شهواتنا والا نخاف في السفارة ارتباك ... اجتماعات غير منتجة. كيف يمكن اصطياده؟

قال قائلهم :

- اصبحنا نحن الآن نخافه نخشى أن ينقض علينا في اجتماعاتنا، فلم تعد تنفعنا لا التكنولوجيا ولا علم النفس الجماهيري، ولا علم تدجين الشعوب. إنه مجنون يطلب الموت، الأجدر بنا أن نخافه؟ وهؤلاء أمثاله زاهدون في المغريات، فيم نوقلهم؟ الآن نحن ندافع وهم يهاجمون لاشك أننا سنخسر المعركة.

. ولكن دائما يوجد حل.

قال كاهن عريق في الغدر تخرج من العراق بإرادتنا، ونسلط بعضهم على بعض ليترحموا على أيامنا، فليس أقذر من الحروب الأهلية وليس أنفع للفوضى الخلاقة من الحرب الأهلية شيء.

- نعم الرأي المصيب، لنخرج وكأننا أصدقاء، كأننا بإرادتنا خرجنا. أما الحقيقية فإننا نهرب بجلودنا من مستنقع لا قرار له. ومن بعيد نرسل سهام تأمرنا نخلط الأوراق، ونمحو الآثار.

قال أمين سر المحفل:

كان دخولنا العراق بذريعة إدخال الديموقراطية، وها نحن نخرج والعراق بأسوأ حال فلا ديموقراطية ولا حرية بل جوع وقهر

وصار الناس يترحمون على العهد السابق مع أنهم كانوا يمقتونه. يجب أن تراجع سياستنا. يقولون عنا إننا نكيل بمكيالين، والحقيقة أننا نكيل بأكثر من ذلك. وهذا ما يفقدنا مصداقيتنا ، حتى أصدقاؤنا القدامى بدؤوا يفقدون الثقة بنا، لكنهم حتى الآن صامتون علينا بتغيير استراتيجيتنا وإلا سنكون مثل الملعونين في الأرض. ثم تندثر.

جلست جويل مع المخرج برهان في مكتبه، وقد دعاها إلى فنجان قهوة، قال:

- ما أخبار زوجك جبور؟

لم أعد أسمع عنه خبراً

- أنت الآن في وضع لا تحسدين عليه، فلا أنت متزوجة، ولا انت

مطلقة .. إنك كالمعلقة .

ليس باليد حيلة وقد علمت أنه لن يعود قبل أن يحرر العراق

- خرج المحتلون، وأصبحت الأمور أسوا، وأظن أن كل أمواله قد تبددت

ما الرأي عندك؟

أرى أن تقيمي عليه دعوى تفريق فتصبحي حرة وتعيشي حياتك.

لست أملك المال والدعوى تحتاج إلى مصاريف

أنا أتكفل بالمصاريف.

ما مصلحتك في ذلك؟

بصراحة أعجب بك لهلوب المسارح والكازينوهات المطرب وردان الأزهر) وهو يتمنى أن يتزوجك على سنة الله ورسوله.

كان المطرب وردان، قد وعد برهان بعشرين ألف دولار، إن

أقنعها بالزواج منه أو نجحت مساعيه.

فوجئت بالخبر، وانزعجت لكنها كتمت غيظها وقالت:

- أعرفه، وقد تخرج من خلال برنامجك على الفضائية، التي كنت أملكها وأعرف أنه مرتبط بك بعقد إذعان لمدة خمس سنوات. ولا يتقاضى من ربع حفلاته سوى النصف، والباقي لك.

ولابد أنه وعدك بهدية قيمة إن أنا وافقت

ضحك العجوز ، وقال :

تربطني به أيضاً صداقة . صحيح أنني أحب المال، ولكنني أيضاً أسعى إلى الحلال.

لكنه أصغر مني عمراً، ولا يحمل شهادات وقد يكون أمياً.

لا يحمل شهادات نعم ولكني أظن أنه يقرأ ويكتب وقد وقع العقد أمامي وماذا تفيد الشهادات في هذه الأيام. أنت دكتورة وتعملين عندي موظفة، ولا تؤاخذيني على صراحتي، لقد أصبح يملك مالاً كثيراً وهذا يفيدك .

ماذا أعجبه بي؟ إنني أكبره بحوالي عشرين عاماً.

ابحثي عن عقد النقص إنه يريد الزواج من دكتورة، كانت تملك فضائية . هو شبه أمي سيكون ذلك دواء لعقد نقصه. وموضوعاً يفتخر به، وقد يكون مصاباً بعقدة أوديب أولئك الذين يحبون نساء أكبر منهم ويشبهن أمهاتهم.

شهور ويطلقني

إذا كنت بارعة سيحتفظ بك، ولقد كون ثروة لا بأس بها وسيدفع المهر الذي تطلبين .

لم تعد جويل كما كانت المثل التي آمنت بها تبخرت في قبو النبيذ، حيث كانت أول خطوة في السقوط ونضالات السنين من أجل مبادئ حلمت بها سقطت مع الدولة التي سقطت قبلها، كأنها كانت شجرة بلا جذور أو جذورها على صخور.

قالت لنفسها : (أنا) الفريق فما خوفي من البلل أخبره بموافقتي.

أصبحت سلعة تباع تشيات لأنها احتقرت إنسانيتها. وباعت كبريائها.

تزوجت جويل وردان الأزهر بعدما حصلت على قرار حكم.

بالتفريق بينها وبين جبور القناقي، وكتبت الصحف الخير كنادرة، أو طرفة بل اعتبر أحد الصحفيين الفنيين الخبر، (نكتة الموسم). وعندما اتصل الأب أنطون، بابي أرز يزف له البشرى ويخبره بمقتل أفراد السجن الذين عذبوه واغتصبوا (سعاد). فرح اشد الفرح. ونزلت دموع من عينيه لاهي دموع فرح ولا دموع حزن؛ إنها دموع شفاء القلوب المكلومة الآن يستطيع أن يقول لنفسه:

(لقد شفيت تماما من الشروخ ، فسلمت يداك يا جبور القنـاقي،

في رقبتي دين لك، لن انساه مدى العمر).

ولما سأله الأب أنطون، عن أخبار جويل قال:

حصلت على قرار حكم بالتفريق بينها وبين جبور، وهي الآن طليقته، وقد تزوجت من المغني وردان الأزهر الملقب بـ (الهلوب المسارح) .

حزن الأب أنطون على حالها، وأدرك هوة السقوط التي هوت نفسها إليها.

وقال لنفسه :

(لماذا نفكر في عقاب من يسيء إلينا ؟ مادام العقاب سيحل بهم من القدر نفسه، ومن الدهر ذاته، وهذه سنة الكون وشرعة الله، وتذكر وهو المسيحي الذي حفظ الكثير من آيات القرآن (

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)

أخبر الأب أنطون القناقي بمعلومات أبي أرز التي أدلى بها عن جويل فحزن لحالها ولسقوطها وتذكر قبو النبيذ، والعهود القاطعة، والأحلام العريضة، وعرف أن في دواخلنا بذور سقوطنا أو صعودنا، وأن عدو الداخل أخطر بكثير من عدو الخارج.

قال للأب أنطون

كان هناك انفصال روحي فيما بيننا قبل أن أغادر بيروت، ولم اشا أن أطلقها، والحمد لله أن هذا الفعل قد صدر عنها.

لا تحزن يا أخي انت الآن صاحب قضية، ومسؤول عن شعب

قال القناقي:

كانت صفحة وانطوت أسفي على سقوطك المربع يا جويل

(٧)

بعد شرائه الكازينو، اهتم ياسر الخوخة بتحويله إلى مكتبة ضخمة، كما كانت سابقاً، واقتضى الأمر أن يغير في (الديكور)، فخصص مكتباً فخماً له فيها. وإلى جواره أيضاً مكتب لائق لمدير المكتبة، والذي ستشغله خزامي الأغبر ابنة الشيخ حامد أما المكتب الثالث فهو للمحاسب جواد شبروم وخصصت غرفة كبيرة من قسمين العاملات التنظيف وترتيب الكتب. وشغلت هذه الوظيفة جمانة الهبر، وأمها تغريد.

سعى ياسر إلى تزويد المكتبة بآلاف الكتب. وكان معظمها من الكتب التي تبحث في العلم والحداثة والتطوير الذاتي بعضها مترجم وبعضها لكتاب مشهود لهم بالحرفية المهنية والوطنية والصدق مع الذات. ولم ينس أن يخصص زاوية للكتب الدينية التي فهمت الدين كما يجب أن يفهم. وربطته بالحياة كما ينبغي. ولم يضع في مكتبته كتباً تحض على الشعوذة أو الفرقة أو التنافر. وخصص أيضاً جناحاً لإقامة دورات في الحاسوب والبرمجة العصبية اللغوية، والتنمية البشرية، وتعلم الموسيقى الراقية وفرش

الجناح بالطاولات والكراسي، كما وضع بيانو وبعض آلات الموسيقى في ذلك الجناح، كلفت المكتبة ومحتوياتها الملايين، ولكنها كانت صرحاً علمياً وثقافياً في بيروت، أشادت وسائل الإعلام بهذا الإنجاز الكبير وحضر الافتتاح مسؤولون من مختلف الاختصاصات على المستوى الرسمي، والمدني والشعبي.

حضرت جويل دون دعوة، وقوبلت بترحيب لجنة الاستقبال مثل بقية المدعويين، ولم يبد ياسر نحوها أي ترحيب زائد، أو احتقار لا مسوغ له عاملها كانه يراها لأول مرة بترحيب عادي اكتنفه بعض البرود. وبالطبع حضر الشيخ حامد الأغبر وأبو أرز وزوجته سعاد، وأمها بديعة. وحضر أيضاً بدعوة رسمية أنطون شركس الذي جلس في الصف الأمامي قرب والد ياسر وزوجته جورجيت كان حفلاً منظماً، نظمه مكتب العلاقات العامة العائد لحسين الألبنضا. وكان ناجحاً بكل المقاييس. وكتبت عنه الصحف في اليوم التالي، كما نقلت الفضائيات وقائع الحفل.

كانت خزامى فرحة بوظيفتها الجديدة ولاسيما أنها كانت قد اكتسبت خبرة في المكتبة الوطنية، التي عملت بها سابقاً والتي استقالت منها وجاءت إلى مكتبة ياسر التي سماها مكتبة الأفق الواسع، أي أنه أعاد تسميتها القديمة، وفاء لمؤسسها الأول.

الجميع كان في حفل الافتتاح سعيداً فرحاً، لكن التي فرحت أكثر من الجميع خزامى الأغبر، ابنة الشيخ حامد، لأنها ستراه يومياً. وأن مكتبها إلى جوار مكتبه يفصلهما حائط فقط وكان سابقاً قد ابتعد عنها مئات الكيلومترات وملايين الجدران لكنها رغم ابتعاده ذلك حفظت في قلبها ذكراه، فهو أقرب إلى احاسيسها ، ولم يخطر ببالها غيره في لياليها الماضية، كما لم يثر انتباهها إنسان فيما بعد. إذا هو حب من نوع خاص ما سر قوته وما عناصر تكوينه؟ إنها كثيرة : أولها الاحترام، وثانيها الإعجاب بشخصية رجل مخضرم، كسب ود أبيها، وأشاد به في أكثر من موقف أحياناً تشفق عليه وتحزن من أجله، لأنه تعرض لمآس وفواجع وخيانات ربما ليس إشفاقاً بالمعنى الذي يفهمه الناس، إنها تقف إلى جانبه فتؤيده بروحها وقلبها. تتألم لألمه و تحزن لإخفاقاته.

ولحالة الظلم التي أوقعه سوء طالعه فيها. إنه بريء من الآثام التي لحقته و التصقت به بظلم سببه البشر لا القدر .

وتسلم جواد شبروم مهمة المحاسب وأمين السر وظيفتان لشخص واحد، إنه قادر على القيام بالمهمتين رغم كبر سنه، وقد تراكمت لديه ثقافة استمدها من الكتب ومن تجارب الحياة في عمره المديد، إنه ما يزال يتمتع بصحة يحسده عليها أمثاله هو الآن سعيد، لا لأن موارده قد زادت ولا لأن عزلته قد انحسرت بل الأنه سيعيش بين الكتب التي أحبها وفيما مضى افتقدها ، سعيا وراء الرغيف، فالحياة تفرض الأوليات التي تضعها، وما على الأخترين إلا احترامها، ظل في بيته وحيداً لم يتزوج، وقد بلغ الآن من العمر اعتياً، هل لأنه لم يعثر على من تحبه ؟ أم أنه هو أيضاً لم يحب احداً لقد أحب الزعيم جمال عبد الناصر وأخلص له. ولو انه تزوج لكان رزق الولد، وأصبح قرة عينه وسنده. وإذا غاب الولد في مجاهل الحياة، تبقى الزوجة إلى جانبه فينعمان بالود والرحمة ويساعد كل منهما الآخر من الغريب الآن أن يفكر بالزواج.

إن محض التفكير فيه يعتبره إثما، لكن الناس يتزوجون في كافة

مراحل العمر ولا يؤينون أنفسهم، لكنه يتراجع ليقول:

من الفدائية المضحية التي تقبل بشيخ عجوز ؟

لعل هناك واحدة ما، في مكان ما، تقبل بعجوز في أواخر أيامه إنه يوجد لنفسه بنفسه المسوغات فيقول:

الدنيا مليئة بالناس، وقد يعثر مصادفة على من تشاركه برودة أواخر أيامه، وتدفئ سريره الذي عاش فيه وحيداً.)

هل أبعدته السياسة عن التفكير بذاته؟ أم أن المورد الضئيل و الخوف من الإملاق هما من منعاه من تحقيق ذلك؟ لقد سرقه الزمن لكن على الإنسان أن يسعى إلى سعادته، والتصالح مع نفسه مهما كان الحيز الزمني الباقي قليلاً همه الآن أن يعب من ثقافة افتقدها، ومن علم نقصه. وهذه المكتبة ستؤمن له النقص الذي عوزه في مراحل حياته. فرح أيضاً لأن ياسر الخوخة، أصبح إلى جانب مكتبه، ويستطيعان التحدث ساعات بدون ملل أحياناً يكون تذكر الماضي بسقطاته وإخفاقاته، أو بنجاحه مبهجاً ومفرحاً، ربما يكون التذكر دافعاً لتطوير الحاضر، واستشراف

مستقبل زاهر. مع أن مستقبل جواد شيروم، قد أصبح وراءه

والوظيفة الثالثة في المكتبة ذات دور هام لكنها الأقل منزلة.

كانت من نصيب تغريد وابنتها جمانة. إنها وظيفة التنظيف بأنواعه، وترتيب الكتب التي يحرفها الزبائن عن أمكنتها المقررة.

ستقومان بتنظيف الغرف و الزوايا والمدارج يومياً، وسترتبان الكتب و ترصفائها على الرفوف رصفاً، إنه عمل شاق. لكن العمل مهما كان نوعه ليس عيباً. الممض في الأمر أنهما وضعتا في تلك المنزلة بعد أن كانتا عزيزتين. وقد أشفق ياسر لحالهما و توسط ابو ارز في توظيفهما مع أن ياسر كان يكره طباعهما التي اتسمت بالأنانية، وعدم الوفاء.

لقد تركت تغريد وجمانة، الأب والزوج في حلب يعاني من الفشل الكلوي، وهو بأمس الحاجة إلى من يساعده في غسل كليته، وجاءنا إلى بيروت طلباً للشهرة والتحرر والمال وكانتا السبب غير المباشر في انحراف مزيد الخشن، وتحوله من مناضل ملاحق، إلى بلطجي يحمي الفنانات في الملاهي وللحقيقة فإن مزيد كان عنده استعداد باطني لما انحرف إليه، وضعف روحي كان السبب فيما انحدر إليه، لكنهما السبب الحسي المباشر لكل ذلك.

لم يرد ياسر طلب أبي أرز في توظيفهما. ولكنه قال في نفسه :

(سأحاول تغيير فكرهما ونفسيتهما إلى الأفضل، وسأدلهما إلى سبل الرشاد فإن انصاعا وتقبلا الأمر أكون قد هديتهما إلى الخير وإن كان الأمر عكس ذلك فلا سبيل لصلاحهما ، وستبدلان بطاقم جديد.

وصار ياسر يداوم أكثر أوقاته في المكتبة يريدها أن تقلع فيعود إليها روادها، وآخرون من الجيل الجديد، وكان يقضي أوقاته موزعاً على المكاتب الثلاث يقضي وقتاً مع خزامى التي يحبها ويعزها، ولعل ذلك لأنها ابنة الشيخ أولاً، ثم لأنها فتنته بحديث فريد و جريء، عندما التقى بها لأول مرة منذ سنوات، وأخيراً لأنها اهتمت به، وأعلنت له حباً على مختلف ادوار المراحل الماضية.

كانت ترسل إشارات واضحة كلما سنحت الفرص تدل على حب يعتمل في قلبها سيختبر شعورها ويفحص آراءها ومنطلقاتها و امامه متسع من الزمن لاكتشاف مكنونات أغوار قلبها.

وأما لقاءاته بجواد شبروم، فستكون كرجل يقرأ الماضي. ويأخذ العبر من التاريخ. ربما سيقرأ في جواد شبروم مستقبله الآتي وعجزه الذي سيؤول إليه يوماً، وكيف سيكون

الرجل إذا أصبح خارج زمنه سيقرأ الجميع. فكل إنسان كتاب سيبدأ من جمانة وتغريد. كتاب غرائبي لكنه لا يخلو من عبر، واستغل فترة انتهاء عملهما وجلوسهما في غرفتهما ذهب إليهما فرحبتا به بخوف و حذر. جلس على كرسي وأمامه طاولة .... ظلتا واقفتين فأوعز إليهما بالجلوس فجلسنا قال:

- جئت لإعطاء بعض التعليمات، التي عليكما التقيد بها في عملكما اليومي أريد أن تشع النظافة من المكان كله، بحيث يشعر الداخل إلى هذه المكتبة، أنه دخل إلى مكان مختلف عن كل الأماكن، وأن يكون كل كتاب في مكانه فقد تتعرض الكتب على الرفوف إلى بعثرة من قبل الزبائن، وأريد منكما الاقتناع بأن عملكما هذا نافع بل مقدس وأجد أنه أنفع للناس من عملكما السابق أنا لا أريد أن أذكركما بالماضي بل أريد لكما مستقبلاً مختلفاً، ولا يبنى المستقبل النظيف المزدهر، إلا بنقد الماضي المليء بالأوشاب والأوضار، فاعذراني لأن غايتي مصلحتكما، وغايتي الارتقاء بكما إلى منزلة جديدة، ويمكن للإنسان أن يرتقي، إذا اقتنع بالفكرة أولاً، وعمل لها ثانياً، ومؤكد أنه سيحصد النتيجة اخيراً.

قالت جمانة :

قل ما بدا لك يا دكتور، فنحن نقر بخطأ ارتكبناه في الماضي، وعقوق مارسناه على أعز إنسان أوجدنا على هذه الأرض هو الأب الذي تخلينا عنه بوقت كان أشد ما يكون فيه بحاجة إلينا. وأما حياتنا التي ازدهرت في المطاعم والكازينوهات، فقد كان ازدهاراً مرضياً، أدى إلى ما أدى إليه. و كانت نتيجته أنني الآن ميتة أتحرك وأخجل من سحنتي. وأخاف أن يراني الناس

قالت الأم :

- نحن نريد الارتقاء بحالنا، ومستعدون للتكفير عن ذنوبنا و لكننا لا نعرف الخطوات نحتاج إلى من يأخذ بيدنا ، وأنت خير من يفعل ذلك.

قال ياسر الخوخة

الندم هو الخطوة الأولى، ولوم النفس بغية التصحيح هي الخطوة الثانية أيضاً لأنها تعني استيقاظ الضمير الذي غفا وعليكما طرد الشيطان الذي أوغل واستولى، وربما وضعكما القدر في الاختبار والامتحان والتجربة، فكونا على استعداد لقبول التغيير

قالت جمانة :

نحن على أتم الاستعداد، ونريد منك الخطوات

قال ياسر:

الخطوة الأولى الصدق مع النفس، ومع الآخرين، ثم الأمل الأكيد بالوصول إلى التغيير والحياة الجديدة، وتبقى الخطوات التي سأحددها لكما ، ويمكن أن أجملها بالتالي:

1 - الاستفادة من الإمكانيات المطروحة أمامكما لديكما في هذا المكان آلاف الكتب، وعند كما من الوقت بعد انتهاء عملكما في التنظيف ساعات ، فعليكما استغلال الساعات في قراءة الكتب .

- عليكما بالمرجعية الصادقة، التي هي كالميزان أو البوصلة، تمنع الانحراف، عندما يعجز المرء وتشوش الأفكار، يعود إلى مرجعتيه

قالت جمانة :

كانت مرجعياتنا السابقة مضللة . المخرج برهان دلنا على طريق . خطفت أبصارنا ، وأوصلتنا إلى حائط اصطدمنا به . لقد كذب على أمي ووعدها بالزواج . ودلني على طريق هي أقرب للابتذال منها للفن . الآن ليس لنا أي مرجعية .

قال ياسر :

أقبل أن أكون مرجعيتكما اعتبراني أخاً تشدان به الأزر أو أباً رؤوفاً ، تلجان إليه للتنفيا بظله الكتب كثيرة لكن التثقيف يجب أن يكون ممنهجاً. ساعد لكما قائمة بالكتب العشرة الأولى التي عليكما قراءتها.

المناقشة والمجادلة، وتمحيص الآراء والأفكار هي رديف هام للمطالعة تثبت الأفكار وتصححها. وأنا مستعد أن أخصص لكما ساعة، لمناقشة الأفكار المطروحة في تلك الكتب. وعندكما رجل مخضرم و سياسي عتيق هو جواد شبروم وغرفته قريبة منكما هو أيضاً على استعداد أن يجلس معكما ويناقشكما، فليس أمتع من المجادلة التي تؤدي إلى تثبيت الفكر. وتبني العمل المثمر، وسأوصيه أيضاً برعايتكما والاهتمام بكما

سأشرح له سيرتكما، فعنده تجدان خير مرجعية أيضاً، وأما مدير المكتبة الأستاذة خزامى، فهي ابنة شيخ جليل تعرفانه، هو الشيخ حامد الأغبر الذي يجمع إلى التراث فكر الحداثة. لقد فهم الدين كما يجب، وربطه بالحياة وأبعد عنه ما لحقه من أوشاب لا تليق به ومن أوضار لصقت به من مغرضين حاولوا تشويهه، لكن الله متم نوره ولو كره المغرضون.

تناول ورقة وقلماً، وكتب عليها أسماء عشرة كتب ثم قال:

هذه الكتب موجودة هنا في مكتبتنا. تستطيعان قراءتها بحيث تبد آن بكتابين كل واحدة منكما تقرأ كتابا تتبادلان الكتابين فتنهيانهما . تتناقشان فيما بينكما عن الأفكار والمحتوى ثم أتي أنا أو جواد أو حتى خزامى فتناقشوننا فيما يجول بخاطر كما حولهما. ويكون التوجيه إليكما من خلال تلك الأفكار، عند الانتهاء من الكتابين تضعانهما على الرف في مكانهما، وتأخذان كتابين آخرين من المجموعة التي كتبتها لكيا. فتفعلان بهما مثلما فعلتما بالكتابين الأوليين اللذين قرأتما هما. وهكذا حتى تنتهي الكتب العشر. وبإمكانكما أن تأخذا الكتابين معكما إلى البيت إذا أردتما. وتعودان بهما صباحاً إلى المكتبة .

فرحتا بما سمعنا شعرتا بأن اهتماماً لحق بحياتهما الجديدة وأن (ياسر) و (جواد) شبروم) و (خزامى الأغبر)، هم الموجهون الذين أرسلتهم العناية الإلهية لتخليصهما من ربقة الذل والمهانة.

غادر ياسر مكتبهما، واتجه إلى مكتب جواد شبروم جلسا

إلى فنجان قهوة. قال ياسر:

كنت قبل قليل في غرفة التنظيف، أوجه كلاً من تغريد الهير، وابنتها جمانة .... أنت تعرفهما. فقد كانتا تنزلان في بنسيون الخالة جورجيت. وقد نجحت جمانة في مسابقة الفنانين وأصبحت مطربة.

قال جواد شبروم:

- اعرف قصتهما كاملة. وقد كانتا السبب في موت رفيقك مزيد الخشن أخبرني أبو ارز بالقصة كاملة، وأظن أنه سبب توظيفهما عندك في المكتبة

نعم هذه هي الحقيقة، فأنا لا أرد لأبي أرز طلباً، ثم أنني قررت أن أوجههما محاولاً تغيير فكرهما القديم، والارتقاء بهما إلى أفق جديد. سنكون أنا و أنت مرجعيتهما، وقد وجهتهما القراءة الكتب فليس مثل القراءة ما يشحذ العقل و الهمم وحبيت إليهما النقاش. وليس مثل المجادلة والمناقشة ما يدفع للتغيير أريدك أيضاً أن تجتمع إليهما، وتوجههما التوجيه الأمثل. مركزاً على المثل والأخلاق والصدق والوفاء. فقد كانتا لا تعبا ان إلا بالمال والأضواء والتحرر المتهتك الذي أدى بهما إلى ما أدى إليه سأخبر خزامي بالأمر أيضاً وأحثها على توجيههما نحو الأفضل. قد تأتي

فرص في المستقبل لكل منهما، وخاصة لتقريد فهي وإن كانت في الخمسين إلا أنها جميلة ولبقة وقد عملت في فضائية بابل عند جويل في قسم الأبراج والتبصير، وعندما تمكنت توسطت عند جويل لإدخال المخرج برهان إلى تلك الفضائية فخربها، هاتان عانتا من الكذب والدجل، فظننا أن الحياة مخادعة وكذب علينا إخراجهما من دائرة السوء.

قال جواد:

- إن ما تقوله الحق وإن تغريد الجميلة، فإن تبنت الصدق و تحرت الإيمان اكتملت شخصيتها و توازن كيانها وسأسعى بدوري لتثبيت هذا في عقلها وهي تصلح للزواج وقد تظفر برجل و أر انه لا ينقصها شيء

تبسم ياسر وقال:

وأنت أيضاً لم يفتك القطار، فقد يتأخر الحب إلى السبعين أحياناً

الأمر في ذلك نادر. ولكنه يبقى ضمن الاحتمال

غادر ياسر مكتب جواد، فدخل مكتب خزامي ... كانت وراء طاولتها، نضرة كتمر صيفي يشع بهاء خرجت من وراء طاولتها ، فسلمت عليه و صافحته

قالت :

كنت سأذهب إلى مكتبك لنشرب القهوة معاً، وها أنت قد

جئت فيا لتوارد الأفكار في النفوس المؤتلفة

- شربت القهوة عند جواد وسأشرب الشاي عندك، إن لم يكن عندك مانع.

أوعزت إلى الخادم يجلب الشاي، وجلسا على كرسيين متقابلين

قال:

أرايت با خزامى، كيف جمعتنا الأقدار أخيراً، كانت آخر جلسة معك في بيتكم، تحت الشجرة الوارفة الظلال وفي أحد الأيام حكيت لي عن الخزامى وعطرها فأحببت الخزامي من خلالك. و بحثت عن أزهارها في كل أرض قدمت إليها، لكنك كنت الخزامى الحقيقية التي زرعت في قلبي منذ أول لحظة. قلبي كان يومذاك خائفاً من بعض الفوارق، وصداقة أبيك الشيخ عامل آخر.

والتقاليد التي تمنعك من الخروج والانغمار في حب طاغ هو العامل الثالث ويبدو أن القدر أرادنا أن تجتمع في هذا المكان لأمر ما لا ندركه و قبل قليل كنت عند جمانة وأمها تغريد امرأتان قلب لهما القدر ظهر المجن بعد أن أظهر لهما بريق الحياة، فانحدرتا من القمة إلى صخور الوادي لكنهما لم تنكسرا كلوح زجاج، كان تعلقهما بالحياة كبيراً. وقد رأيت أن ننقلهما إلى ضفة الاستقامة والصلاح بعد أن تمرغتا في وحول المستنقعات القذرة. وقد أوعزت إلى جواد شبروم برعايتهما في نقلهما إلى الحياة النظيفة. ووعدتهما أيضاً بأن أكون مرجعتيهما، كما أعددت لهما قائمة بأسماء

الكتب التي عليهما قراتها ومناقشتها معنا أقصد أنا وأنت وجواد ، فليس أدعى إلى تثبيت الفكر من النقاش و المجادلة

قالت خزامى:

حسناً فعلت، وسيزورنا أبي الشيخ حامد، فلا بأس أيضاً من أن يلتقي بهما، ويأخذ دوره في توجيههما.

فكرة جميلة ورأي سديد، أصبحت أحب الشيخ كثيراً.

لماذا؟

لأنه كان سبباً في إيجادك أولاً ، ثم سبباً في أن أتعرف إليك ثانياً وأفهم معنى الخزامي بكل معانيها. ثم ثالثاً لأنه اقترح أن تستلمي إدارة هذه المكتبة، فتقودي الفكر النظيف الحديث العلمي المتنور .. أعرفت لماذا أحببته؟

- أما أنا فقد أحببت صاحب المكتبة .. حباً جامعاً مائعاً ، ضحكت فسمع أروع تغريد !

قال :

أعلم أن التعريف الجامع المانع، هو الذي يجمع كل ما يضم التعريف، ويمنع كل ما عداه من التسرب إليه أما الحب الجامع المانع، فلم يمر في ذاكرتي حتى هذه اللحظة.

الحب الجامع، هو انني أحببت كل صفاتك، وحتى نقائصك كانت إلي محببة، وأما المانع فهو كل رجل غيرك يمنعه قلبي من الدخول

يا لروعة هذا التعريف حقاً فوق كل ذي علم عليم.

ومرت شهور لاحظ ياسر أن (جواد شبروم)، قد تغير شكله صبغ شعره الأبيض، وارتدى الرسمي مع ربطة عنق أنيقة، رائحة العطر تفوح منه ومن مكتبه ! ماذا جرى؟ ومن غيره؟ أضف إلى ذلك أن (تغريد) قد ازداد اهتمامها بمكياجها ولباسها، فبدت أصغر من عمرها كانت تتردد كثيراً إلى مكتب جواد وتمكن طويلا فيه. هل عاد الحب إلى القلوب التي قرحتها المآسي وغاب عنها الفرح؟

ودخل مكتب جواد زائراً، قال:

أين وصلت توجيهاتك لتغريد، وهل وضعتها على السكة.

ضحك جواد لأنه فهم غمزه ومراميه، فأجاب

وصلت إلى القلب.

إذا مبارك

اتخذ جواد وضعية جدية، وقال:

كنت سأخبرك بالأمر لأخذ الرأي أريد أن أتزوج من تغريد لأنني وجدت أنها قد انقلبت إلى طريق الفلاح، وغيرت ما سبق.

هل فاتحتها بالأمر؟

نعم وقد قبلت العرض .

بعد ذلك اللقاء، تزوج جواد من تغريد. وظن ياسر أن جواداً

سيمنعها من العمل الذي لا يليق بها وسأله

- هل ستترك تغريد العمل وقد تزوجتها ؟

كانت رغبتي أن تترك، لكنها رفضت وقالت: إن العمل ليس عيباً، إنه شرف للإنسان مهما كان وضيعاً، وإنها ستستمر فالمكتبة التي أحبتها وكتبها هي من غيرها ألفت العيش بين الكتب، ومن هذا المكان عشرت على زوج يحميها. لقد كانت بحاجة إلى الحماية.

فعلاً تغيرت للأفضل، استمر في التوجيه.

وزار الشيخ حامد الأغبر ياسراً في المكتبة، وحكى له ما جرى

لتغريد وابنتها جمانة، قال الشيخ

أريد التحدث معهما، هلا استدعيتهما إلى مجلسنا.

حضرتا، فأوعز الشيخ إليهما بالجلوس، ثم قال:

سمعت بالحال الحسن الذي آل إليه أمركما أبارك لك يا سيدة تغريد ، زواجك لكن الذي أبهرني وأدهشني، إصرارك على العمل والبقاء في المكتبة. وإدمانك مع ابنتك على القراءة والنقاش يعود الفضل للدكتور ياسر، والأستاذة خزامي

الفضل كله لله يسخر عباده لتغيير من أراد له الخير، لأن الله يقول : " وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِيبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .

عقدتي ابنتي جمانة التي تشوهت فاين المخرج؟ أظن ذلك مستحيلاً!

ليس ذلك على الله بكبير. اتقيا الله حق تقاته. إن فعلتما

ذلك، فسيأتي الفرج.

بعد أسبوع استأذن رجل بالدخول إلى مكتب الدكتور ياسر عرف عن نفسه بأنه الدكتور (آغوب سواربيان المختص بالجراحة والتجميل. وقد أتى يبحث عن كتب علمية وروايات أرمنية وأخبرنا أن عيادته في باريس لكنه الآن في إجازة، وهو لبناني من أصول أرمنية. ويأتي في كل سنة إلى لبنان لزيارة أقاربه وأخوه طبيب جراح أيضاً، لكنه مازال يعمل في لبنان، وخلال زيارته، يقوم بعمليات مجانية لمساعدة الفقراء والمنكوبين في عيادة أخيه.

دعاه إلى الجلوس، وطلب من الخادم فنجانين من القهوة.

قال ياسر:

- أصبح الأرمن في بلادنا جزءاً من نسيج الوطن هم اناس طيبون نكبوا كما نكبت أوطاننا ؛ لكن جذورنا مشتركة في القوة إنها كالسنديان الأرمني مشهور بإتقان العمل وصدق الأداء. يحب من يساعده ويخلص إليه. نحن أحببناكم فعشتم بيننا

كإخوة يوم محنتكم لم نكن نحن بأفضل منكم كنا شركاء في المحنة تقاسمنا رغيف الخبز، وصبرنا على المأساة وتعالينا على الجراح، فأهلاً بك يا أغوب، في بيتك وبين إخوانك.

ولكني أريد أخذ رأيك في أمر قد يكون فيه على يديك الفرج

- شكراً على شعورك الطيب، وأنا مستعد للمساعدة وإبداء الرأي.

عندي موظفة مشوهة الوجه، وقد كانت مغنية غدر بها الزمان، فاضطرت لأن تعمل خادمة تنظف هذه المكتبة هلا تكرمت وشاهدت مصيبتها، وهل بالإمكان معالجتها، وترميم تشوهاتها ؟ علماً بأن الكثير من الأطباء قالوا : إن إرجاعها السابق حالتها مستحيل

احزنتني حالتها قبل أن أراها أين هي لأشاهد مصابها ؟

أوعز ياسر إلى الخادم بأن يحضر جمانة، ولما انت وكشفت عن وجهها، هالته بشاعة التشويه، فصار يفحصها بدقة، ويستفسر منها عن أمور حدثت لها، وسألها : هل تتألم من جراح قديمة اندملت، ثم توقف عن الفحص فقال:

يمكنني إعادتها أجمل مما كانت.

لم تصدق جمانة ما قال، لكنها انكبت على يديه تلثمهما. قال ياسر:

يا لروعة ما أسمع ولكن أين يكون العلاج؟

في عيادة أخي (ساكو) وهاكم العنوان أعطى أغوب ياسراً بطاقة أخيه الدكتور (ساكو) وفيه العنوان وأرقام الهواتف .

ثم قال جمانة:

راجعيني غداً في العيادة المذكورة. سأكون أنا في عيادة أخي هناك، وسأجري لك العملية فوراً. لا تتناولين طعام الإفطار.

عقدت الدهشة لسانها ، لكن ياسراً قال:

مهما كانت كلفة العملية فأنا مستعد للدفع.

ضحك آغوب وقال:

لا تظن أن الأرمن أقل منك كرما وشهامة، يا دكتور، لقد قطعت العهد على نفسي، ألا أخذ قرشاً من مريض أعالجه أشاء إجازتي في لبنان.

على كل لن نختلف في هذه الأمور، ولكن المهم إعادتها إلى وجهها السابق، أو قريباً منه.

سيعود وجهها أجمل مما كان.

في اليوم التالي، حضر الجميع إلى العيادة. كان مع جمانة ياسر وأمها تغريد وجواد وخزامى تركوها بين يدي (آغوب) ساعات بعدها خرج من غرفة العمليات والعرق يقطر منه، ليقول :

- ستظل عندنا أسبوعا بعدها سنزيل عن وجهها الشاش والقطن، وسترونها إنسانة جديدة.

غادروا جميعاً العيادة ، ليمضوا أسبوعاً كله كله قلق وترقب وفي الموعد المضروب ذهب ياسر وخزامى وجواد و واد وتغريد، ليشاهدوا النتائج

انتظروا في الغرفة قليلاً، بعد ذلك أطلت صبية كالقمر لم يصدقوا ما شاهدوا هل يعقل أن تكون هذه الجميلة هي جمانة؟ بكت الأم من الفرح وسر ياسر سروراً عظيماً. لقد اجترحت معجزة على يد الطبيب البارع أغوب نادى بعضهم

يا أيها الإله العظيم، ما أرحمك

استراحوا في غرفة الطبيب الذي أعطى أمها تعليمات متابعة النقاهة، ولائحة الطعام، ووصفة دواء ستتابعها لها

قال ياسر:

لقد جئت تطلب كتباً، فكلفناك بجهد قمت به خير قيام إن كتبك التي طلبت هي عندي الآن في مكتبي. ستمر علي في الساعة الثانية لتأخذها، ومن ثم نذهب إلى بيروت الشرقية . لنتغدى مع ابي وخالتي التي هي امرأته.

من خالتك؟

هي جورجيت وكان عندها (بنسيون المحبة). "

تهلل وجه آغوب، وقال:

اتعرف أن جورجيت هذه هي خالة زوجة أخي (ساكو)؟

وكنت انوي زيارتها .

ستفاجئها إذا بزيارتك، ويكون معنا الدكتور (ساكو)

وزوجته ليكون اللقاء أجمل .

سنلتقي في الموعد المحدد

كان أروع لقاء وبالنسبة لجمانة كان أروع يوم

قالت جمانة:

كنت ميتة فحييت وشجرة يابسة اخضرت وأورقت يا النبوءة الشيخ

هذا هو المخرج الذي بشرنا به الشيخ حامد الأغبر، فعلينا أن نحمد الله الذي منحنا البرء والشفاء.

(٨)

في الوقت الذي كان فيه ياسر الخوخة يستعد لتجهيز مكتبته، كانت جويل تتزوج من المطرب الناشئ وردان الأزهر تعجب كل من عرفها بزواجها منه عجزوا عن اكتشاف الدافع كانت هي قد عزلت حياتها عن كل معارفها واصدقائها الذين انفضوا من حولها هل لأنها فقدت كل شيء؟ وافتقرت الدرجة ما كانت لتتوقعها إلى الحنان لقد انفض عنها أصدقاؤها لانحرافها عن مبادئها السابقة، والسعي بشغف غير معهود نحو المادة و المال؟ كان لبرهان دور كبير في فشل المحطة الفضائية وفي إفقارها

فالعقود التي أبرمها كان من المفروض أن تصب في مصلحة الفضائية لا مصلحته وكان عمله ذاك هو إساءة أمانة إن لم نقل سرقة ونهب. وكان للإسفاف في المقالات المنشورة في الصحيفة.

دور آخر في نقص مبيعاتها. ها هي الآن خالية الوفاض منعزلة، فلم لا تقبل بعرض يأتيها من سمسار سافل ولص محترف هو الآن مديرها مع الأسف بعد أن كانت هي ولية نعمته، يا لغدر الزمان إنه يعرض عليها الزواج من مطرب يصغرها بربع قرن، وعمله هذا

لقاء منفعة، فبرهان لا يعمل عملاً إلا إذا كانت فيه منفعة محضة له، وافقت بعد تقليب الأمر على وجوهه هل موافقتها كانت بدافع الخروج من العزلة؟ أم بدافع تمرد سن الياس الذي تمر به، والذي أحياناً يعود بالمرأة إلى سن المراهقة وحماقة مرحلتها ؟! المهم أنه مهما كانت الأسباب، فهي الآن زوجة مطرب ناشئ يلقبونه بـ (الهلوب المسارح). قليلاً ما يغني على المسارح، لأن ميدان غنائه البارات و المطاعم و الملاهي ومرشده في ذلك (برهان) نفسه، لأنه يتقاضى نصف مردود كل ليلة منه و غالباً ما يكون مبلغاً كبيراً.

وبمرور الوقت ورغم الغين، استطاع وردان أن يشتري بيتاً فخماً

يشبه دارة فرشه بالأثاث الفاخر، ونقل إليه جويل التي كانت قد عاشت في آخر تلك الفترة في غرفتين حقيرتين، بعد أن باعث كل أملاكها وسددت التزاماتها وضرائبها. ولكن وردان كان شخصية غريبة معقدة معذبة. هو شاب في أول عشرينياته كان أبوه سكيراً ويعمل حداداً في ورشة حدادة يذكر وردان وهو في السادسة من عمره، كيف كان يأتي أبوه في الليل مخموراً، وغالباً ما كان يضرب أمه ضرباً مبرحا أحياناً بسبب واه، وأكثر الأحيان بدون سبب. كان وردان يستيقظ على صراخ أمه و يشاهدها

تضرب بعصا أعدها أبوه لهذا الغرض مرة حاول الدفاع عن أمه فصرخ في وجه أبيه قائلاً :

اتركها إنها تجهز طعامنا و تغسل ثيابنا ، إنك تضربها بدون ذنب

كثر أبوه عن أنيابه كضيع وانهال عليه ضرباً وزمجر استضرب أنت أيضاً) . كره أباه إلى درجة لا تطاق فتمنى موته وبالمقابل احب أمه، إلى درجة لا توصف، فتمنى لو تماهى فيها. ليس إشفاقاً عليها فقط و إنما محبة وهياماً و عشقاً .. يا لذكرى أوديب الملك.

كانت أمه جميلة، ولها ملامح من جويل نفسها في ليلة جاء الأب فضرب امه على راسها ، فماتت ... صرخ وردان، وكان لصوته صدى حضر الجيران. ثم جاءت الشرطة، واقتادوا الأب القاتل إلى السجن.... عندها أخذته الأرملة بهيجة إلى بيتها. كانت تمت إليه بقرابة بعيدة، وتعيش في بيتها وحيدة بعد أن مات زوجها. كانت آنذاك في أربعينيات عمرها. وكان هو في العاشرة افتقدت الولد فكرست له كل عاطفة الأمومة فنام في سريرها و احتضنته كولد من ذريتها نال شيئاً من حنان الأم التي افتقدها.

في إحدى الليالي و كان في الثالثة عشرة من عمره، شعرت بأنه

يضمها ويلتصق بها ... في البدء فوجئت، ثم اندهشت وارتعش

أديمها. ثم استيقظ في داخلها حرمان ظنت أنه هجرها للأبد. رغبة

عطلت العقل والمحاكمة. هكذا استيقظت تلك الرغبة فجأة أين

كانت مخبأة يا ترى؟ ضمته إلى صدرها لا على أنه ابن هذه المرة و إنما على أنه عشيق صغير حار يا للمفارقة العجيبة طفل في الثالثة عشرة من عمره يمارس الجنس مع امرأة في الأربعينيات. إنه لأمر شاذ و لكنه

حدث هدأت عاصفة غير متوقعة ليعم السكون وتعود المحاكمة. بعد ذلك أنبها ضميرها، وبكى هو على صدرها هدهدته وقبلته.

سوغت له فعلته بأن مثل هذا الأمر يحدث للشاب في أول بلوغه سوغت أيضاً لنفسها، أن قبولها ليس فيه كبير خطأ، ما دام هذا الفعل يعيد إليها شيئاً من حنان افتقدته ومن رغبة حرمت منها.

قد لا يسوغ لها الآخرون فعلتها لأنهم لم يشعروا بحرمانها وعطشها ووحدتها، وتكرر الفعل في كل يوم. لم يعد أحدهما يستطيع الاستغناء عن الآخر. وبدافع الحاجة، ولتغطية المصاريف، اضطر للعمل في ورشة نجارة يأتي من عمله في المساء، يستحم ويلبس منامته. وتأتي هي بعود أتقنت العزف عليه تغني و تشجعه على الغناء. كان يقلد أغنيات أحبها، فوجدت في صوته (خامة) وموهبة وحسن أداء فشجعته على ممارسة هذه الهواية، وفي يوم أعلنت فضائية بابل عن مسابقة لهواة الغناء، لاكتشاف المواهب وكان المخرج برهان، يتقن مثل هذه الأعمال في عدة فضائيات عمل بها،

وكان يستفيد من المطربين الموهوبين فيشهرهم ويقدمهم للأضواء ومن بعد ذلك إلى الكازينوهات والمطاعم، ويتقاضى نصف مردود أعمالهم. ورغم أن عمله هذا كان استغلالاً مثبتاً بعقود إذعان، إلا أن المطربين الناشئين أيضاً قد استفادوا من المال والشهرة، وكذلك كانت حالة وردان.

في إحدى المرات قالت له بهيجة

لماذا لا تتزوج، وقد أصبح لديك المال؟

- لأنني لا استطيع الاستغناء عنك في كل ليلة.

انت تحتاج الولد وأنا لا استطيع إنجابه، وإذا انت تزوجت فبإمكاننا أن تلتقي في الأسبوع مرتين.

وافقها بعد تردد على الفكرة، وتزوج من عديلة السروجي، وفي ليلة الدخلة بعد أن نام مع عروسه أصابه عارض نفسي يشبه الجنون، دفعه إلى أن يغادر الدار ويذهب إلى بهيجة.

فوجئت به بهيجة، وقالت:

ماذا أتيت تعمل عندي. وهذه الليلة كانت ليلة (دخلتك)؟

لا أدري ما الذي أتى بي إلى هنا ولو لم أت كنت ساجن

نام مع بهيجة تلك الليلة، وبكى على صدرها وقال وهو في حالة نشوة، غاب عنها العقل.

انت أمي، لا استطيع الاستغناء عنك، وبدونك أموت.

حيلت زوجته عديلة، وقال له الأطباء أن الجنين ذكر. لكن عديلة لم ترتح لسلوكه، وكشفت سره وعرفت أنه مغرم ببهيجة، ولا يستطيع الاستغناء عنها. مع ذلك صبرت من أجل ولدها، وسموه (ربيع). لم يكن وردان ليحب ابنه ربيع كثيراً، فكانت معظم لياليه عند بهيجة كانت زوجته باردة كلوح ثلج. وجافة كلوح خشب لوحان اجتمعا ليشكلا عديلة السروجي، لم يجد عندها رغبة فتخيلها جثة، ما أصعب أن ينام الإنسان مع جثة اللحظات الحميمية في حياتهما معدودة، بل نادرة، وسعى أهل

عديلة إلى طلاقها منه؛ فهذه الحالة لا تطاق، والزوج معقد شان وعديلة في أول عمرها ، ويمكن أن تبدأ من جديد مع رجل سوي. فأخذت طفلها، وغادرت إلى بيت أهلها. وسر وردان لطلاقها وانفصالهما، لأنه عاد إلى بهيجة ولياليها الجميلة، وفي يوم حدثت فيه فاجعة صدمت سيارة مسرعة بهيجة فأودت بحياتها، وعاش وردان أصعب أيام حياته انقطع عن الغناء وانعزل في داره و كار يجن جاءه المخرج برهان فخفف عنه و رغبه بالعودة إلى عمله، فلم ينصع إلى توجيهاته. فهدده برهان باللجوء إلى القضاء والحجز على ممتلكاته فانصاع مرغماً، وعاد إلى غنائه في الملاهي، لكنه لم ينس بهيجة، وقد غابت إلى الأبد. أراد التعويض فقطن بجويل كان يراها عندما كان يذهب إلى فضائيتها ليتدرب عند برهان كانت لها نفس الملامح المشتركة بين أمه وبهيجة. فسعى لدى برهان بأن يتوسط له ليطلب يد جويل. وسيقدم له هدية ثمينة إن هو أقنعها بالموافقة. وقبض برهان عشرين ألف دولار لقاء نجاحه في إقناع جويل بالموافقة، ووافقت جويل وقد كانت لها أيضاً سبابها. فرحت لأنها عادت إلى الحياة. ولأن فقرها قد زال مؤقتاً سد العجز بنقود وردان. لكن لحظاتهما الحميمية كانت غريبة

مدهشة. لم يكن كبقية الرجال الذين مروا على جسدها زوجها هيار الذي اغتيل، وياسر المدهوش في قبو النبيذ في دير الأب لون، أو حتى القناقي الذي تزوجها في بيروت. كانوا رجالاً وياء اقتحموا أنوثتها كمحاربين فاتحين أما وردان المنكوب

بأمه وببهيجة، فقد كان يبكي على صدرها مردداً أنت أمي التي لا استطيع الحياة بدونها، قد أموت إن فارقتني أو تركتني)

استغربت الأمرا وعرفت أن وراء سلوكه سراً. لكنها ارتاحت لأنها شعرت نحوه شعوراً غريباً. إنه شعور الأم نحو طفلها، لا شعور الزوجة نحو زوجها مع أولئك الرجال كانت تشعر أنها مدينة محاصرة فتحت أبوابها عنوة من الفاتحين ومع وردان شعرت أنها أم تهدهد ابنها الذي أضنته الحياة أحبته لهذه الناحية، ومع الأيام كشفت سره بكل تفاصيله وعرفت أنه كان متزوجاً من عديلة وأن له ولداً اسمه ربيع، وقد بلغ السادسة أصبح لها ابنان عوضها الزمن أخيراً بما حرمت منه وفيما بعد اقنع أنوثتها بالطريقة التي رغبت فيها. الغريب أنه أخلص لها رغم العديد من الحسان اللائي طلبن منه علاقة ما لن يجد عندهن ما يبغي، فجويل أصبحت له

أما بكل المقاييس وزوجة أيضا هي أيضا تغيرت وجدت الزوج الذي أصبح بيدها خاتماً، بل الأصح خادماً مطيعاً. ينتهي من عمله ويعود إلى البيت. تسقيه حناناً لا يرتوي منه لأنه عاش عطشاً تاريخياً. وكره أباه بقدر ما أحب أمه.

في إحدى الليالي، قالت له:

لماذا لا تتعلم التلحين؟ ويوما ما ستكبر ويرهقك الغناء

ومعاشرة السكارى في البارات.

-ليس لي فيه خبرة ولا علم .

يستطيع الإنسان أن يتعلم أصعب العلوم إن صمم ورغب.

كيف يكون ذلك؟

تتبع دورات في التلحين، وتعلم الصولفيج) والسلم الموسيقي.

- سأعمل بنصيحتك، ولاسيما أنني تخلصت من ربقة برهان وانتهى عقدي معه.

بحثت عن أفضل الملحنين تعاقدت مع أحدهم وصار يأتي إلى البيت ليعلمه التلحين مضت أشهر. وصار يلحن لنفسه ويغني. وزارت ابا أرز وطلبت منه تأليف أغان لزوجها ليغنيها.

قال أبو أرز

أنا شاعر لا أؤلف المغنين. ومع ذلك سأعطيه إحدى قصائدي ليغنيها، كرمى لعينك أنت.

ولم تعجب وردان القصيدة، فقال لها :

أنا لا أغني سوى الطقطوقة والأغاني الشعبية.

جرب أن تلحن هذه القصيدة وتغنيها.

- ساترك الغناء واختص بالتلحين

وجعل من بيته مكاناً للقاء المغنيات والمطربات الناشئات وصار عمل جويل تقديم الضيافة لهن وخدمتهن لم يعد يبكي على صدرها. لم يعد يطلب نبع الحنان لأنه اهتدى إلى السلسبيل.

لاحظت في يوم أنهم يتعاطون حبوب الهلوسة. فتبهته إلى ذلك، فقال:

حبة في اليوم تجعلني في غاية السرورا

ستدمن على الحبوب، وتطلب المزيد.

لا تتدخلي في حياتي الخاصة

قالت لها نورهان المغنية التي يلحن لها، والتي خلصته من عقدته.

- الحبوب تجعلنا في حالة مريحة (ريلكس) جربيها (طنط))

(طنط) 15 تذكرت أنها بعمر ابنتها لو كانت أنجبت من مهيار الأسعد.

اصابتها سكين في خاصرتها، لكنها تعالت على الجراح وقالت معاتبة، وردان

ا انت تقول ذلك يا وردان انسيت انك كنت تقول أنا بدونك ميت؟

كنت مريضاً وشفيت.

كيف ذلك؟

اكتشفت حياة المطربات النضرات كورود جورية في أول تفتحها في الربيع، فعرفت أنني ضيعت حياتي مع العوانس

طعنة أخرى في القلب هذه المرة. كبتت في قلبها جرحاً عميقاً ولم تقل شيئا ، من فورها غادرت إلى أنطون شركس عرضت عليه أن تكتب مقالات سياسية، كما فعلت في الماضي.

عندي مزيد من الكتاب، ولست بحاجة.

- لا أريد مالاً، سأنام بإحدى غرف الجريدة. ولا أكلفك سوى (السندويتش).

- آسف لا أستطيع

لم يكن أنطون شركس، يعرف ما آلت إليه أمورها، لكنه لمس نفسيتها المنكسرة.
فخرجت بأسوأ من الحال الذي دخلت فيه .

في هذه الأوقات، كان ياسر قد ذهب إلى مسجد التقوى الملاقاة الشيخ حامد، فأجلسه الشيخ في إحدى غرف المسجد.

قال ياسر:

- أريد أن أشكو لك حالي يا مولانا

خير ماذا ألم بك؟

جئت أريد الانتقام ممن أساء إلي، فوجدتني أحسن إليهم. تغريد تزوجت وجمانة عادت أجمل مما كانت.

معدنك طيب، وهذا أفضل انتقام لأنك تغير الناس نحو الإيجابية والاستقامة.

هذا يريحني، ولكني أريد أن أسدي معروفاً لجويل وأعيدها إلى قسم الأخبار.

سمعت أنها تزوجت من مغن شاب. وهي تدرج في الكهولة .

- لابد أنه يعذبها ويتعالى عليها زارتني يوم افتتاح المكتبة وقابلتها بالبرود.

ماذا تنوي أن تفعل لها ؟

أريد أن تعود إلى الصحيفة كما كانت وأن أقف إلى جانبها . بعد أن تخلى كل الناس عنها.

أتعرف أن الكره هو الوجه الآخر للحب لعلك ما زلت تحبها !

لا أظن ذلك، لكنني عشت معها تحت الخطر في بغداد.

وكانت ذات مثل لا أدري كيف تغيرت بمقدوري إعادتها أحسن مما كانت.

ضميرك أفكارك طيبة خيرة، ومعدنك أصيل اعمل بما يمليه عليك

قرر أن يذهب إلى بيتها بعد أيام لكنه تأخر وكان قد سبق السيف العزل

ففي اليوم التالي جاءت نورهان إلى بيتها، واجتمع وردان معها ليكمل لها اللحن أنت بزجاجة ويسكي، ولاحظت جويل ذلك فامتعضت قالت نورهان

أيضا؟ لقد سمعنا النصيحة، ستغير إلى الويسكي، هل هذا ممنوع

وطلب وردان من جويل، أن تحضر المازة أعدت لهما ذلك وهي

صامتة وانشغلت في المطبخ بعد فترة قصيرة، سمعته يصيح:

أعدي القهوة بسرعة .

أعدت القهوة بسرعة حملت الصينية واتجهت إلى حيث يجلسان رأت شيئا أذهلها، بعد ذلك طار صوابها رأت وردان مستلقيا فوق المغنية على الأريكة، يمارسان فعل الحب القت

بفناجي القهوة على الأرض فاندلقت القهوة ... وصاحت:

يا للوقاحة أتبلغ بكما الخسة أن تفعلا ذلك في بيتي.

غضب وردان لأنها قطعت عليه متعته، وانبته أمام الفتاة، فاحتد

وغضب، وقال:

بيتك أيتها العجوز الشمطاء؟ هذا بيتي أنا أتيت بك إليه كقطة جائعة عندما شبعت غرزت مخالبك في لحمي غادري البيت مطرودة إلى غير رجعة ولا تعودي إليه أبدا. لملمي أسمالك وارحلي غير مأسوف عليك، سأغيب أنا وحبيبتي نورهان ساعة.

بعدها تكونين قد رحلت إلى حيث تشائين. لقد قرفتك إن لم تغادري بعد ساعة سارميك في الشارع ككيس النفايات الأسود.

خرج من بيته متأبطا ذراع المغنية التي كانت تضحك بابتذال مع أن الموقف ماساوي، لا يستحق الضحك.

ذهلت من ردة فعله، وأصابها قنوط لم تعهده من قبل الهذه الدرجة وصلت به السفالة ؟! وإلى هذه الدرجة وصلت هي إلى

الذل (تخلى عنها الجميع. فلماذا لا تتخلى هي أيضا عن نفسها فتغادرها، كانت علبة حبوب الهلوسة ما تزال على الطاولة، وقد نقصت حبتين كانا يشربان الويسكي مع الحبوب، ولاحت لها فكرة بل اتخذت قرارها النهائي، مسترحل كما أراد. سترحل عن الدنيا إلى الأبد. فليس في هذه الدنيا ما يستحق العيش

دخلت غرفتها، وتناولت قلماً وورقة وكتبت: ها أنا أغادر الحياة إلى الأبد، ليعلم الجميع أنني لم أحب أحداً سوى زوجي الأول مهيار الأسعد الذي اغتيل القد قتلت يوم قتل وكل رجل عرفته بعده كان سراباً وحباً كاذباً، وها أنا أرحل للقياه

كلكم أثمون وتتحملون وزر موتي ... لا تبكوا علي ابكوا على مثلكم ومبادئكم الزائفة. أيها الكذبة المارقون ...

عندما عاد وردان إلى البيت بعد ساعات وجد الورقة وعلبة الحبوب الفارغة، كانت الجثة باردة لأنها قضت منذ ساعات.

علم الجيران والأقارب، وأخبر أبو أرز ياسراً، ووضعت الجثة في براد المشفى، بعد أن شرحت وأعلن الطبيب الشرعي أن الذي تم عملية انتحار وليس جريمة

من قال: إن موتها ليس جريمة ؟ الجريمة الأولى اغتيال زوجها مهيار، بتفجير سيارته بسبب رأيه هي سبب كل الأخطاء التي تكررت كسلسلة، والجرائم الأخرى تضليل الناس لها، عندما شربوها التوجيه الخطأ وصوروا لها الحياة بطريقة خداعة مضللة من قال إن البشر يمكن أن يتحولوا إلى ملائكة، وتصبح الأرض

جنة موعودة ؟ هم قالوا لها ذلك، وكان ذلك تضليلاً، قالوا لها: إن الدين أفيون الشعوب ولم يعطوها البديل الروحي لكن من أمن بحجر نفعه، ففقدت روحاً كان من المفترض أن تشحن بالإيمان الذي يمدها بقوة الاستمرار فالإيمان هو الملاذ الأخير في زمن الخواء ربما فلعله كان يمنعها من الانتحار. مرة قال الشيخ حامد الأغبر لياسر وهو يروي له حديثاً:

(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له. وليس ذلك إلا للمؤمن) . هل كانت جويل ستنتحر ، لو كانت تؤمن بمعتقد روحي؟ اليس ذلك عاصمها من الموت. وإذا يئست من الناس والحياة حتى النفس الأخير، ذهبت إلى رهبانية الدير، وعاشت من أجل المسيح هم من حولوها وضللوها وغيروا أفكارها وساهموا بقتلها، وانتهى بهم المطاف تجار موز، أو مالكي شركات قابضة. أوهموها أن المال مقدس ومقدم على الغيبيات والأوهام. وبفعل الأحداث استنتجت أن المنصب والمال متلازمان فعالت للقناقي تاركة ياسر المصيره اليست هذه الأفكار هي التي ساهمت بقتلها ؟! فلم تغطى الجرائم كلها، وتدان هي بانتحارها يا العدالة الأرض الشوهاء

كارثة وقعت على ضمير ياسر. تأنيب كمسامير الصليب تنغرس في لحمه وفي قلبه لو قدم لها العرض بالعودة إلى الجريدة لكان تفادى انتحارها. كم هو مثقل بالآثام والخطايا (لقد

عذبتني يا جويل، بحياتك ومماتك، أرجو أن تسامحيني فانا مذنب بحقك ولن تغفر السماء لي خطيئتي مهما حاولت))

ونقلت في اليوم التالي إلى المقبرة واختلف المسلمون والمسيحيون في آية مقبرة يقبرونها، ومن سيصلي عليها هي ولدت مسيحية وعاشت مع المسلمين لكنها لم تؤمن بأي من الاثنين ولو خيروها لفضلت أن يصلي عليها الأب أنطون، وتدفن في ديره ذلك الأب الذي جمع في شخصه الإسلام والمسيحية معاً، ثم لماذا لم يفطنوا إلى عذاباتها وهي حية؟ فتنازعوا عليها وهي ميتة؟ لماذا لم يتنازعوا على مساعدتها والإفادة من علمها وخبرتها وحزبها ؟ الذي هو حزب ياسر نفسه الذي تركها لقدرها، لأنها رفضت أن تكون حجر شطرنج بيد قادته، الذين قادتهم شهواتهم إلى أن يكونوا ملوكاً وتجار موز أو قطن أو تجار آثار ولكم في يونس الخوخة أسوة حسنة ربما هي لا تنكر خطاها أو خطاياها، ولكنهم جميعاً كانوا أشد منها خطأ وانحرافا. ولو كان المسيح موجوداً لأعاد مقولته (من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر) ، ولكن المسيح غير موجود، وإنجيله مغيب ألم يحرف بوش روايات الإنجيل باتجاه القتل والحرق والدمار بدل الحب والسلام ليقول بعد ذلك: إن هذا ما يريده المسيح. كم ترتكب خطايا باسمك يا من أتيت مخلصاً ونصيراً للمستضعفين.

رأى ياسر جثمانها، وهو يغوص في القبر. ثم يهيلون فوقه التراب. فتذكر مقولة الأب أنطون، وهو يتلوها من إنجيله (تذكر أيها الإنسان، أنك من التراب وإلى التراب تعود) بكى حينذاك، وقال (سألحق بك عما قريب، كم فرطت في حياتي، لأعد إلى حظيرة الإيمان، فلا منجى من الله إلا إليه.)

ورجع مع الشيخ حامد إلى المسجد. وطلب منه أن يخصص له في المسجد غرفة للتأمل والمراجعة والانقطاع للعبادة. فلقد قرر الرجوع إلى الله.

ونزل الشيخ حامد عند رغبته فخصص له غرفة بسرير ، كان الشيخ يعلم أن روحه في مخاض. وأن ندمه إيجابي سيتمخض عنه رجل جديد .

وكان يزوره كل يوم. لقد غيره موتها ؛ كما غيرته هي في حياتها، وعلم الجميع بموقفه الكارثي، فتركوه لحاله حتى يشفى من صدمته، وصار الشيخ حامد يداوم في المكتبة بدلاً عنه، ويعطي ارشاداته وتعليماته للموظفين، واستغرب بعض الناس هذا الموقف منه و آخرون أكبروا موقفه.

(٩)

تردد الشيخ حامد الأغبر، إلى مكتبة الأفق الواسع)، في الوقت الذي بقي فيه ياسر الخوخة معتكفا في غرفته بمسجد التقوى وآخر مرة ذهب فيها الشيخ إلى المكتبة، كانت صباح السبت.

تغريد وابنتها جمانة، كانتا منهمكتين في التنظيف رق لهما

وقال :

بعد الانتهاء من الترتيب والتنظيف تعالا إلى مكتب المدير.

كانت ابنته هي المدير. فجلس في مكتبها يتحادثان - قالت خزامي

أليس من الغريب اعتكاف ياسر في المسجد؟ ولم كل هذا الحزن على الرحومة جويل؟

- ليس حزناً بقدر ما هو تبكيت ضمير من رجل حساس عظيم الوجدان. إن اعتكافه مراجعة عميقة للذات بل لحظة تحول مصيرية، سيكون لها تأثير على حياته كلها مستقبلاً.

ألم يكفه اسبوع؟

لندعه يأخذ وقته كاملاً، فالأمر صعب عليه يشعر أن تأخره عن مد العون لها ، كان سبباً في موتها.

هي تتحمل الوزر، لقد تركته بدون مساعدة في وقت كان فيه أحوج ما يكون إلى المساعدة مالت إلى بريق ذهب القناقي ثم خلعته لتتزوج (الهلوب) المسارح، الذي يصغرها بعشرين عاماً هو الضحية وليس الجلاد .

- لا تقولي ما تقولين عن امرأة غابت عن الدنيا الجويل مواقف تشكر عليها أيضاً، لقد ذهبت معه إلى العراق، في الوقت الذي امتنعت أنا عن ذلك وكذلك جواد شبروم وآخرون يقولون اذكروا محاسن موتاكم وأنت تبحثين عن المساوئ.

يعز علي ما آل إليه حال ياسر**!**

سيخرج في يوم ما شخصاً جديداً أكثر إيجابية وإيمانا.

ما موقف أبيه، وقد علم بالخبر.

حاول أن يذهب إليه ويثنيه عن عزلته، وأنا منعته عن ذلك حتى لا يجهض انعزاله ويفسد تحوله ويبقى تأنيب الضمير لديه مدى الحياة.

- وشرب الشاي مع ابنته وتحادثا بأمور المكتبة. ووجهها إلى ضرورة مضاعفة عملها، وحث الآخرين أيضاً حتى لا يكون غيابه

سبباً في تدهور سير العمل

- لن يحدث شيء من هذا، فوجوده هنا لا للإدارة، وإنما للحديث، وشرب القهوة

مع من يتحادث؟

ضحكت وقالت:

بصراحة في أكثر الأحيان معي. وقد يخطبني في القريب العاجل.

- هل انت مقتنعة به تمام الاقتناع لا تنسي انه يكبرك بسنوات كثيرة

اعرف ذلك، وأجد أن هذا لا يشكل عائقاً بيننا.

ما العائق إذاً؟

حبه الجويل أحياناً يقلقني!

يا لغرابة النساء المرأة ماتت وتركت كل ما في هذه الدنيا، ومنها ياسر فيم تهرفين؟ أتصل بك الغيرة إلى هذه الدرجة؟

ليست هي الغيرة، بل إني أطمح إلى أن يكون كاملاً لا انحراف فيه، ولا تعقيد.

وسمعا طرقاً على الباب، كانت تغريد وابنتها جمانة.

اذنت لهما خزامى بالدخول دخلنا فأشار لهما الشيخ بالجلوس. في البدء سألهما عن الصعوبات والاحتياجات، ثم توجه بالحديث

إلى تغريد قائلاً :

كيف تسير أحوالك مع جواد؟ وهل الود والرحمة، مزدهران كما يجب

في أحسن حال ولله الحمد. قلبه قلب طفل، وصاحب مثل وخلق

لقد أردت الاجتماع بكما لأمر هام يمس حياتكما فياسر كما تعلمان في نقاهة روحية، سيعود إلينا بإذن الله قوياً متزعاً بالثقة والعافية، وأنا هنا بمنزلة الأب والموجه لأنكم جميعاً أبنائي وسأقترح عليكما عملاً جديداً يليق بكما ، فالله أمرنا بالارتقاء كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

- وما العمل الجديد؟ لقد أحببنا هذا المكان، وتعلقنا بالكتب، والعمل ليس عيباً، كما كنت تقول لنا دوماً، لقد كان لك الفضل ولياسر أيضا في تغيرنا نقلتمونا بالإقناع الحر، من مخازي الهوى إلى طريق الهدى ويعلم الله كم ندمنا على ما فرطنا بحق أنفسنا.

قد يكون العمل الجديد خير لكما وللناس أيضا.

أنت الموجه، فقل لنا الأفكار وأعطنا التوجيهات

أعلم أنك يا تغريد، كنت في فضائية جويل، تقدمين برنامج الأبراج واستشراف الغيب، وبعض الخزعبلات الأخرى وقد تدربت على التقديم والإلقاء. فلماذا لا تعملين مجدداً في فضائية،

ياسر وتقدمين برنامجاً يفيد الناس

يكفي. أي برنامج هذا يا سيدي، وليس عندي من العلم والثقافة ما

- ليكن برنامجاً أسرياً اقصد غايته تثقيف الأم والأولاد.

يرشد الأسرة ويعلمها أصول تربية الأطفال في البيت، ويعلمهم اصول توجيههم مثل المحافظة على الملك العام، وعدم العبث به ..... بعض الأطفال ممن ربوا تربية شريرة، أو أهملوا نهائياً، يمزقون مقاعد الحافلات العامة التي هي ملك المجتمع، أو يرمون النفايات في الحدائق، أو يتلفون الأزهار والأشجار. وهذه الموضوعات التي

تبدو بسيطة في مضمونها، لها انعكاسات على شخصية الطفل عندما يصبح رجلاً قد يغدو لصاً ، أو مخرباً ذا نزوع تدميري وموضوعات أصول التربية هذه لها مراجع في مكتبتكم هذه وخزامى وياسر يعرفان تلك الكتب. لقد اطلعت على كتب التربية في هذه المكتبة، فوجدتها غزيرة ومتنوعة. يمكنني أن أسهم أنا شخصياً فأكتب لك مثل هذه المواضيع، وأنت تلقينها ، ويمكن أن أساهم في كتابتها معك بجلسة أو جلستين. واشترك معك أيضا في انتقائها، أو حتى في ندوة مشتركة للحوار. وبهذا الشكل تعودين إلى التلفاز، ببرنامج يفيد الناس ويجعل منك شخصية مرغوبة.

يا حبذا لو أقدر على ذلك !

تستطيعين، وكلنا سنقف إلى جانبك ونساعدك.

- لعلي انتفع بتوجيهاتكم ورعايتكم.

ثم توجه الشيخ حامد إلى ابنتها جمانة قائلاً:

ها انت يا جمانة ، قد عدت إلى جمالك ونضارتك وبهائك .

وعندك خبرة في الغناء، فما رأيك لو عدت إلى عمل تحبينه

واجدت فيه ؟

الغناء حرام، وأنا قد اهتديت إلى طريق التقوى

الغناء في الملاهي الليلية، وفي أجواء الخمر والعهر حرام ليس في ذلك من شك ولا أريد أن أذكرك بما حصل نتيجة ارتيادك تلك الأماكن، والغناء فيها ولكن الغناء في حد ذاته ليس حراماً، والتحريم يكون بسبب الضرر الذي يحدثه الفعل، فإذا كان الغناء بين السكارى والقوادين غايته إسعادهم وتشجيعهم على المضي في غيهم، فهو حرام لأن التحريم متحقق من النتائج التي سيفضي إليها، لكن ما بالك إذا كان الغناء لتحريك الجماهير ودفعها للعمل أو إذا كان الغناء لإذكاء الروح الوطنية، والنهوض بالأوطان .

كيف يكون ذلك ؟

سأضرب لك مثلا : جوليا بطرس من منا لا يعرفها من منا لا يحترمها ؟ هي مطربة، نالت الاحترام، كانت تغني في جوقة المدرسة في مدارس راهبات الوردية، ثم أصبحت تقدم الأغاني الوطنية، فأصبح لها قاعدة جماهيرية واسعة هي لبنانية من بيروت

ولكن شهرتها عمت الوطن العربي كله كرمت من العديد من الدول، وحصلت على وسام الأرز علقه رئيس جمهورية لبنان على صدرها. غنت لتجمع الأموال لأسر الشهداء فتبرعت بثلاثة ملايين دولار جمعتها من جولات في عدة بلدان، هل نقول : إن غناءها حرام؟ لقد أفادت الناس، وغنت للأمة.

وفيروز، تلك القامة، بل القمة التي لا تعلوها قمة احترمت نفسها فاحترمها الناس غنت فأطربت وكان غناؤها كثلوج الذرى التي لا تدنس عندما يسمع المأزوم صوتها ، تزاح كربته أو تخف وعندما يسمعها الإنسان، تتجسد أمامه الإنسانية، تنقلك إلى عالم نظيف برئ كله رومانسية وطفولة، فتنسين الضحالات والتفاهات والمرارات هذا النوع من الغناء مفيد، وغير محرم فيما اعتقد. لأن الحرام حرم لأنه يضر فالغناء ضمن هذا المفهوم ينفع ولا يضر.

هل يمكن يا مولانا، أن أرقى إلى مستوى ذلك الغناء.

نعم لأن ما قدر عليه غيرك وهو إنسان؛ تقدرين عليه أنت ما دمت من فصيلة الإنسان العبقرية يا ابنتي تسعون في المئة منها جهد. وعشرة في المئة موهبة وأظنك لا تحتاجين الموهبة مكينها .

فرحت جمانة، وامتلأت سروراً ونعمة وقالت:

ها أنت يا سيدي، ترقى بي إلى أجواء لم أحلم بها، كلها.

خير ومنافع .

- عليكما أن تفكرا بما قلت لكما، تختمر الفكرة في الدماغ بعد أيام من الاقتناع بها ثم يتحول إلى همة للعمل، ثم توضع خطة للعمل. إن دور الشيخ أو الراهب، ليس الوعظ في الجامع أو الكنيسة بل عليه النزول إلى أرض الواقع بل إلى القاع ليخفف عن المحزونين والمقهورين، وأحيانا بسلوكه يضرب المثل. وهو أقوى من كل وعظ، ومن هنا مفهوم الدين الذي يرتبط بالحياة. وبهذه الحالة لا يكون أفيوناً للشعوب، بل عاملاً موقظاً لها، أما إذا سوغ للظالمين ظلمهم، وللطغاة طغيانهم، ففي هذه الحالة ليس أفيوناً فقط، بل مشتركاً في الجريمة نفسها.

في كل الأحوال يجب الا يلغي أحدنا الآخر باي تسويغ كان أعط ما لقيصر القيصر، وما لله الله. وهذا شرع من قبلنا، أمرنا

باتباعه أيضا.

قالت تغريد :

لتوجيهك يا مولانا، قيمة نعترف أنها تمدنا بشحنات الروح الإيجابية، وسنعمل بما اقترحت علينا ونتشاور مع جواد، ونرجو أن يعود ياسر إلينا قريباً.

- على بركة الله، سأغادر إلى المسجد، فقد اقترب الظهر. وسأجتمع إلى ياسر ونتداول هذه الأمور التي القيتها إليكما.

ودعهم وخرج.

وصل إلى المسجد، كانت غرفة ياسر مفتوح بابها، وقف قرب النافذة قبل أن يدخل إليه لم يشعر به ياسر، وكانه كان في مناجاة، أو لحظة تجل، كانه في الحضرة سمعه يقول:

يا سيدي، لا تسلمني إلى إغواء النفس، خذني إليك لا تتركني مع أي سواك لخوفي منك، أسرع إليك أنا منك فاعدني إليك).

تعجب الشيخ من كلامه، فدخل من الباب سلم ثم قال:

لا تجزع من جرحك. وإلا فكيف للنور أن يتسلل إلى باطنك؟

ضيعت أيامي، فكاني بلا أيام العمر الذي مر بلا عشق كانه لم يكن. إن كل من لا يعشقون اعتبرهم أسماكا خرجت من الماء اعتبرهم موتى يتحركون حتى وإن كانوا ملوكاً.

آن لك أن تعود من كهفك إلى الحياة، فالحب لا يوجد في كهوف اترك أحزانك، وابحث عن المسرات

مع الزمن يتحول الألم إلى حزن ويتحول الحزن إلى صمت

ويتحول الصمت إلى وحدة ضخمة، وشاسعة كالمحيطات المظلمة

- جمانة أحيت نفسها، وستعود للأضواء، لتغني للبسطاء

والطيبين ستغني للوطن. وأمها لن (تبصر) للناس، لأنها ستساهم في إعداد أبنائهم للمستقبل، وستشاركهم في تربيتهم، من خلال فضائيتك.

حكى الشيخ لياسر : ما جرى من حديث وتوجيه الجمانة وأمها

فانفرجت أساريره، وكانه عاد من غيبوبته الصوفية، التي

اختارها بنفسه

قال الشيخ :

ستخرج الآن من غرفتك إلى العمل وإلى الحياة، فيومك ليس للحزن بل للعمل، ومن خلال العمل تكتشف الحسب وعلى رأي ماركس من خلال علاقات العمل والإنتاج تظهر علاقات اجتماعية و روابط جديدة أهمها الحيم)

كيف تستشهد بأقواله وأنت ضده في الفكر

الحكمة ضالة المؤمن يذهب إليها أينما وجدها، سبق أن تكلمنا بهذا من قبل، وفي تحليل ماركس كثير من الحقائق فتأخذ بالمفيد، ونترك ما على عليه الزمن ديننا لا يؤله أحداً، ولا يكره أحداً، وهذه هي الموضوعية والعلمية، التي علينا أن نتبعها في

مناهجنا وتفكيرنا.

- عندما تتكلم يا مولانا، تهب رياح نقية طازجة. أما أحاديث بعضهم

ففيها سكون المقابر أو عفن المستنقعات

يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا أليس ديننا من يأمرنا

بذلك ؟

وخرج ياسر من اعتكافه بإيمان أقرب للتصوف وداوم على فروضه وواجباته الدينية، وقد سر الشيخ سروراً عظيماً، وقال في نفسه : لكل شيء أوان حتى الإيمان.

وعمل دورة موسيقية في مكتبته، وجاء بمن يعلم جمانة أصول العزف، واللعب على البيانو. كما أوعز إلى أبي أرز، بأن يوظف أمها (تغريد) في الفضائية، ويسند إليها برنامج الأسرة، وتعهدت سعاد بتوجيهها وتدريبها على إدارته. كما أن أبا ارز علم بتوجه جمانة الجديد نحو الغناء الهادف وأنها لن تغني في المطاعم أو الملاهي فتعهد بأن ينظم لها قصيدة بهذا المنحى قريباً، وأن يلحنها ملحن مشهور، هو صديق لأبي ارز. وهكذا تيسرت الأمور أمامهما بسرعة. واقتضى الموقف أن يوظف ياسر في مكتبته رجلاً يقوم بما كانا يقومان به. وتوفر له مزيد من الوقت ليجالس جواد شبروم.

دخل عليه فوجده منشغلاً بقراءة كتاب، قال ماذا تقرأ ؟

كتاب تاريخي، أجد فيه العبر القراءة توسع المدارك في يوم ما كنت أنظر إلي عبد الناصر كانه نصف إله اليوم أراه كأي رجل دولة، يصيب ويخطئ اليوم عرفت أنه كان أول من انشأ الدولة الأمنية في هذا الشرق. ولكنه أيضا أول من دعا لرفع الرأس عالياً ودعا للعزة الوطنية.

- الآن نطقت بالحق يا جواد، ولقد تمكنت من الثقافة والوعي، فتغيرت نظرتك أتذكر مجادلاتنا في (بنسيون) المحبة وكيف كنت متطرفاً في الدفاع عنه كتبي صاحب رسالة؟

- نعم أذكر ذلك كانت أياماً، ولكن الإنسان يتطور في كافة مراحله، والوعي يأتي من العلم والثقافة، واحتكاك الأفكار.

هل نعمت بالزواج، وسعدت مع تغريد ؟

سأقول لك أمراً، وقد لا تصدقه؟

- ما الأمر؟

تغريد حامل

تعجب ياسر بل اندهش وقال:

هل يعقل أن تحمل امرأة في الخمسين؟

- هي في السابعة والأربعين وقد قال لي الطبيب: (المرأة تحمل ما لم تدخل في سن الياس)

مبارك، سيكون لك طفل بعد هذا العمر المديد. فماذا ستسميه؟

عبد الناصر

ضحك ياسر، وقال:

- يا لك من ناصري عتيق مهما قرأت ستظل ناصرياً إلى الأبد. اتمنى لابنك أن ينجح في إزالة قلعة حمص من مكانها ، بعد أن تعذر عليك ذلك.

جامله جواد بابتسامة !

غنت جمانة لأول مرة أغنية وطنية، عند الآثار التاريخية في بعلبك، وذلك بمناسبة عيد الاستقلال وحضر جمع غفير منهم سياسيون، ومفكرون، وأدباء.

في البدء خافت قليلاً، فالحضور ليسوا مخمورين كرواد الملاهي وهي قد عانت من تشويه تخلصت منه فيزيولوجيا، لكن بعض آثاره النفسية مازالت باقية قلقها دفعها إلى الإجادة، فشحنت إبداعاتها، وحظيت بتصفيق افتقدته في الملاهي، كانت هناك تسمع تعليقات تخدش الحياء أما هنا فالاستحسان يرفع المعنويات ويدفع منسوب الثقة إلى الأعلى. وكافأتها الدولة بمبلغ كبير فتبرعت به للأطفال المعاقين فاعجب الناس بها من أول أغنية لم تختر اسما مستعاراً، كما كانت تفعل في المطاعم والملاهي .

فظهرت باسمها الحقيقي دون خجل. لأن ما تقوم به عمل وطني لا

يقل أهمية عن عمل القناقي، وأبي الحارث

فرحت أمها تغريد بنجاحها. وتشجعت لأول حلقة قدمتها في برنامج الأسرة. كانت تقدم برنامج الأبراج باسم (أم هريدي) وهو اسم مستعار، لأن عملها ينطوي على الكذب، ويعرف الناس ذلك لكن الفاشلون يتعلقون بحبال الهواء، ويركنون إلى الوهم. أما اليوم فقدمت اسمها صريحا . وعرف الناس أنها زوجة السياسي العتيق جواد شيروم
فمنحوها الاحترام توالت الحلقات وساعدها الشيخ حامد، وحضر معها إحدى الحلقات. وساعدها من جانب آخر ياسر وخزامى في اختيار المواضيع فاشتهرت وعد برنامجها التربوي أفضل برنامج يقدم في محطة فضائية.

استعدت تغريد لاستقبال مولودها، وحصلت على إجازة. وأشرف طبيب على توليدها في المشفى . فولدت من الخاصرة

وكان ابنها جميلاً. فطار عقل جواد من الفرح، ونعمت بأمومة جديدة أشعرتها بصباها، الذي مازال في الحياة فاعلاً. الحياة تعطي من يعطيها ومن يعرف قوانينها.

وزارهم الشيخ حامد، ومعه ياسر وخزامي .

وقال ياسر :

ماذا سميته ؟ أما تزال مصراً على الاسم الذي حلمت به.

سميته عبد القادر، لأن الله رزقني الولد وزوجي في أواخر

أربعينياتها. فهو القادر على كل شيء.

نعم ما فعلت يا أبا عبد القادر، وإذا قدرت أن تحصل على اثنين آخرين، فلن يكون ذلك خطأ.

ضحك الجميع للملحة التي بثها ياسر ودعيا له بالذرية الصالحة.

وقال الشيخ:

ليست العبرة بالكم. فقد يكون فرد واحد أفضل من عشيرة المهم التربية الصالحة والعناية الفائقة، ثم اكتشاف المواهب الكامنة أو الرغبات المشتعلة. فالذي لا يحب عمله أو حرفته، أو حتى هوايته إنسان فاشل

- وفي يوم دعا ياسر كلاً من الشيخ حامد، وأبا ارز وزوجته سعاداً وجواداً وزوجته (تفريد) وابنتها جمانة وخزامي؛ لتناول الشاي و (الكاتو) في صالة الدورات بالمكتبة اجتمعوا حول طاولة

كبيرة مستديرة قال ياسر

دعوتكم من أجل فكرة خطرت ببالي لا أعرف إن كنتم تؤيدونها فتباركونها، أو أكون أنا قد اخطات التفكير بها.

قال الشيخ حامد :

أخبرنا بم فكرت؟

- أود أن أجعل من هذه الصالة منتدى ثقافياً واجتماعياً، يكون أشبه بصالون أدبي يلتقي فيه الأدباء على اختلاف مشاربهم، يلقون أشعارهم، أو يقرؤون قصصهم، وتدار بعد ذلك نقاشات حول ما القي، فيحتدم جدال و تتلاقح الأفكار، لتفرخ أفكاراً أبدع وأنقى، لا يمنع من أن تطرح أفكار سياسية، أو ايدلوجية. وسأخصص من أموال شركات أولادي مبلغاً ضخماً ليكون كجائزة أدبية، تعطى لأروع رواية أو اجمل ديوان شعر سأسمي الجائزة

(جائزة الخوخة للرواية والشعر تمنح في كل عام مرة .

قال أبو ارز:

- أجمل بها من فكرة ! بها ستخدم الأوطان وتشجع الموهوبين وتنمي الأفكار.

قالت خزامى:

وصالة الدورات هذه، هل ستلغي الدورات؟
لن الغيها، بل سأنظم الأوقات فلا تتضارب

قال الشيخ حامد :

هذا إيحاء إلهي، هبط إليك. وهو عين الصواب

قال ياسر

سأجعل للصالة باباً مستقلاً عن المكتبة.

وافقوا على الفكرة وحبذوها.

ولم تمض أيام كان المنتدى قد جهز، وأعلن في الفضائية والجريدة عن ذلك. وتقاطر الشعراء والروائيون إلى المنتدى، ونقلت قضائية ياسر وقائع المناظرات والأمسيات، فاشتهر المنتدى في كل لبنان، بل والوطن العربي.

كانت جورجيت قد علمت بأمر المنتدى أعجبتها الفكرة وشاركت في تنفيذها ودعمها. فصارت تداوم، وتبدي اهتماما وتطرح أفكاراً، وأجمع الأصدقاء على تسليمها إدارة المنتدى. وقامت بطبع الدعوات وتحديد المواعيد. فوجدت ذلك العمل الذي أحبته دوماً، وتذكرت أيام الحزب المنتدى أعادها إلى دوامة الحياة الآن هي سيدة صالون أدبي توازن بين الأمرين: الزواج والمنتدى وأحياناً تحضر ومعها زوجها أبو ياسر الخوخة. لقد جمع المنتدى الأحباء، ووحد المنطلقات، وفرح الأفكار وانضجها.

جمع الأصدقاء على اختلاف منطلقاتهم. فتعجبوا من اختلاف السياسيين فيما بينهم.

(١٠)

أصيب جبور القناقي، بجرح بسيط في يده أثناء اشتباك مع القوات الغازية، ضمده بالرباط الضاغط الذي يحمله كل مقاتل في حقيبته، وتابع القتال

أثناء انسحابهم بعد تنفيذ المهام وتحقيق الهدف، قال له أبو الحارث

- اقترح أن تمضي نقاهتك في دير الأب انطون تستريح وتفكر في مستقبل المقاومة، بعد انسحاب القوات الغازية. لقد سمعت أنهم سيخرجون من العراق الشهر المقبل، تاركين بعض الخبراء.

- فكرة سديدة ولاسيما أنني لم أر الأب أنطون منذ مدة طويلة، سنطلب منه المال، فقد نفد المال أو كاد .

ووصل إلى الدير في الفجر. كان الأب أنطون، يغط في نومه. لم يشأ إيقاظه.

فتجول في أرجاء غابة الدير. كان الصباح يتنفس بعطر المروج الطازجة.

كبرت الأشجار الصغيرة وازدهرت أغصان الأشجار المعمرة وخيمت بظلال باردة على الأرض الرطبة على شاطئ البحيرة مازال القارب مربوطاً إلى الشجرة الكبيرة، يهتز مع الموج، وفتحة سرداب القبو أغلقت بالحجارة، واختفت الأغصان التي كانت تموه الفتحة.

تساءل جبور:

(لماذا أغلق الأب أنطون فتحة النجاة من السرداب؟)

لماذا يستغرب، ولماذا يهمه الأمر؟ فحتى لو كانت الفتحة غير مسطومة) بالأحجار فلن يدخل السرداب، كيف له أن يستعيد ذكرى حب انتهى وانتحر قبل أن تنتحر صاحبته، فما الفائدة من اجترار ذكريات بائدة؟

يوم انتحارها حزن حزناً عظيما. رغم أنها كانت قد سعت

لتطليقه، ونجحت.

يعرف أنها تزوجت من المغني الشاب، وتعذبت معه بشكل ماساوي، وكان ذلك دافعها إلى الانتحار، لو كانت فتحة السرداب مفتوحة لما دخل فهو لا يريد أن يحزن الذكرى ممضة، حدثت وانتهت بشكل مأساوي. كانت علاقة أثمرت زواجاً، جر عليه المآسي لم ينس خدعة السفير التي تمت من خلالها. هذا السفير الذي غاب وكانه في سرداب، كان تلك التمثيلية مسرحية على خشبة، وليست واقعا عاشه

انقطعت كل الأخبار والإشارات . وكان السفير نسي أمر

وعيده وتهديداته، أو أصبح الجلاد يخشى الضحية، طرد جبور الخوف من قلبه فهابه الآخرون الشيطان نفسه خاف منه، وكل ذلك حدث بعد الهجوم بسيارة (الخضار).

لكنه حدث نفسه قائلاً:

علي أن أكون حذراً منتبهاً، فهؤلاء القوم خبيثون، ومتربصون دوماً)

الأحداث التي أنت فيما بعد أثبتت مقولة: (عدو ذكي، خير من جار جاهل وأن الإنسان مهما كان حذراً فلا بد أن يؤخذ من مأمنه.

عاد إلى مقر الأب أنطون في الدير، بعد جولة انبلج فيها الصبح وسطع الضياء، فوجد مساعد الأب قد استيقظ وعمل القهوة وسمع جبور الأب أنطون وهو يسعل ويغسل وجهه ويتجشأ. لقد استيقظ لتوه، وقد أعلمه مساعده، بوصول جبور

تعانقا ، ولاحت فرحة سعيدة على وجه الأب أنطون الذي قال:

لقد طالت غيبتك يا أخي، وقلقت عليك، وذهبت بي الظنون مذاهب شتى.

كانت المعارك تحتدم بشكل يومي أثخنا فيهم الجراح. وقد تكبدوا الخسائر الفادحة، لذلك ينوون الرحيل

سمعت هذا من الفضائيات فالتلفاز مازال يعمل، بعد أن تم إصلاح خلل فيه، والبطارية مشحونة دائماً، ولكن ما الخطوة

القادمة؟

- هذا في الحقيقة ما جئت من أجله لأخذ الرأي. ولأخذ بعض النقاهة من جرح بسيط، فلقد أصبت منذ يومين.

لم الاحظ ذلك.

هو بسيط ومضمد، وأخفيته تحت القميص.

- هلم إلى غرفة المطران التي أصبحت غرفتك ترتاح ونتحدث فيها عن القادم من الأيام. وعن المرحلة الجديدة.

وفي غرفة المطران التي نزلت بها جويل يوماً، صدمته الذكرى. ريما روحها تحوم الآن في سماء الغرفة تخيل أنه يشم شذى عطرها. أو رائحة شعرها ومسامات جلدها.

لحظ الأب أنطون شروده، فقال:

أرى أن تأخذ قسطا من الراحة، ثم بعد ذلك نتحادث.

لم يكن جبور بحاجة إلى الراحة بل كان بحاجة إلى أن يخلو إلى نفسه، مسترجعاً ذكريات هامة حدثت في هذا الدير، غابت الأحداث وغاب أشخاصها بقي رجيع الصدى يتردد في أرجاء النفس مفعماً بالأسى و بالذكرى الممضة، ومترعاً بالحزن المكثف. كانت أياماً قاسية وخطرة، لكنها جميلة، ولم يكن يومذاك ليدرك عمق تلك العلاقة التي ستترك آثارها المأساوية على كليهما.

كان سعيداً معها. ومعجباً بسحرها وجمالها ولباقتها الأسرة لكنه لم يكن ليؤمن بحب ليس له هدف الحب عنده حجر

تصطاد عدة عصافير منها المحطة الفضائية، والجريدة التي ابصرت النور بدأت عملاقة ثم انحدرت، وما كان نقطة قوة أصبح سقوطاً وموتاً، وكل ذلك ما كان ليكون لولا جويل وعن طريقها كل ذلك، ستسوق محطتها إلى الهدف الوطني المقاوم. هل هو حب ممزوج بمصلحة ؟ أم وطنية خالصة مازجها حب؟ الحب الذي مبعثه المصالح والمنافع، أيا تكن هو حب لغرض، وغالبا ما ينتهي مثل هذا الحب الممزوج بماس وإحباطات.

مقياس الحب الكامل هو لاعقلانيته، أو على الأقل انتفاء أية مصلحة فيه. إنه الحب لأجل الحب، ولم يكن هذا متوفراً في تلك العلاقة التي اعتبرها فيما بعد أئمة، وكان ياسر أولى بها، وياسر الذي طلب حباً منها بعد ظما بدا مستجدياً أمامها وملحاحاً، وكانت هي مترفعة، فلمن أعطت خالص حبها إذاً : هل أعطته المهيار الأسعد من دون كل الرجال؟ رحل مهيار وبقي حبها له في الروح دون الجسد، الذي عبره كثيرون، لكنهم لم يستطيعوا امتلاك الروح، فهل يستقيم حب إزاء استجداء ويزدهر؟ أم أن المفروض أن تكون الرغبة واللهفة من الطرفين بمقدار واحد؟ وإلا كان حباً أعرج وغير متوازن. إنها حالة غريبة من فوضى الحواس عاشتها ودفعت حياتها ثمنا لذلك.

كان القناقي مستلقياً في سرير المطران سارحاً، يتأمل الجدران والسقف، فلا يراهما إلا طيفاً، لأن عقله قد شرد في الذكرى التي عاشها في هذه البقعة من الأرض .... لو كانت تحبه ، لعاشت

كل ايامها تنتظره لو كانت بحاجة ملحة إلى المال لسعت إليه وحصلت عليه، ولم يخطر في باله أنها وصلت إلى شفير الفقر، بل عاشت الإملاق. وأنها باعث بيتها لتسدد ضرائب الفضائية والجريدة، وقد باعتهما فلم يكف ثمنهما لتغطية الاستحقاق إنها لم تلق المساعدة من أحد حتى أنطون شركس، الذي خدمته في بغداد بإخلاص في فرع محطته لفظها. لأنها أهانته يوماً بوجود القنافي.

على المرء أن لا يحكم على امرئ دون معرفة التفاصيل والنوايا النوايا هي الحقائق التي يصعب الوصول إليها، إلا من خلال صاحبها الذي يلم بكافة التفاصيل، وقد غابت عن جبور تفاصيل كثيرة، لم يكن ليتخيلها، وانتهى إلى استنتاج خاطئ إن سبب مصائبه هي جويل نفسها، التي قبلت الرشوة المقنعة التي قادته إلى الحزب الشيطاني الذي أرغم على الانتساب إليه، وفق طقوس جهنمية مخيفة، لقد نفذ لذاك الحزب مطلباً واحداً، نجا من خلاله جنرال أمريكي كان مرشحاً للموت أو الأسر، وبفضلها نجا. إنهما مشتركان في الخيانة. حاول أن يطهر الإثم بإلقاء نفسه في فوهة البركان، فكتب الله له السلامة، بعد ذلك قطع كل علاقة مع الحزب الشيطاني بل وقاد المقاومة النظيفة الجريئة ضد الاحتلال. وكان وفق شريعة ذلك التنظيم، أن يعامل كخائن يقتل، أو يحرق، أو يلقى كجثة عند تنسيب عضو جديد، فيكون عبرة لمن

يعتبر. هم إلى الآن لم يفعلوا شيئا إزاءه. لم يتعرضوا له ولو بتهديد.

لم يهددوه، أو يتصلوا به فيحذروه لم يحدث شيء من هذا ،

فلماذا صمتهم المريب أهو الهدوء قبل العاصفة؟

كانوا يريدون منه أن يتحول إلى تنظيم سياسي مدني، فيترك السلاح في زمن الاحتلال، ويناضل بالقول، فلم ينفذ لهم الطلب يومذاك الآن اختلف الموقف المحتلون يخرجون من العراق، وعليه أن يتحول إلى حزب سياسي مدني إذا سينفذ لهم الهدف، ولكن بعد مرور زمن صال وجال فيه. فهل سيرضيهم تحوله إلى حزب سياسي مدني مجرد من السلاح؟

هذا ما سيتم نقاشه وتداوله مع الأب أنطون، وبعد ذلك مع مجلس الشورى، وسيكون قراراً تاريخياً، فإن كان القرار خطأ سيكون كارثة، وإن كان صواباً سيسجل له التاريخ ذلك.

غلبه النعاس فنام

راى حلماً مخيفاً مفزعاً : كان يطارده وحش أسطوري، لعله اشبه بتنين. كان اللهب يخرج من فيه جسده جسد تمساح، وراسه رأس غول، ظل يلاحقه وهو يهرب وجاء جاره يساعده، فقال له :

لا تخف .... نحن جيران الغول عدونا المشترك. أنا سأحميك منه)

حتى إذا وصلا إلى أرض خلاء ... أخرج الجار سكينه، وأغمد نصلها في قلبه، عندئذ ظهر الوحش ضاحكاً لقد تمكن منه

بخديعة، كان الوحش جاره كان الجار والوحش صديقين مموهين، بل متماهيان ما أقذر الخيانة إن أنت من جار أو قريب.

صاح جبور صيحة اهتزت لها الجبال، وانداح صدى مخيف يا للخديعة الخبيثة الماكرة لقد أخذت من مأمني، فيا لبلاهتي وغفلتي .

سمع مساعد الأب أنطون صراخ القناقي وعرف أنه قد تعرض لكابوس وحلم مزعج دخل غرفته . كان القناقي قد استيقظ معرق الوجه يلهث من خوف لا يعرفه في اليقظة، فأتاه في الحلم.

أعطاه كأس ماء، فشربه وهو يلهث.

قال القناقي:

هو حلم أشبه بالحقيقة ما رأيته سيتحقق.

ماذا رأيت يا سيدي؟

أين الأب أنطون؟

في غرفته، وستلتقي به في الصالة.

حكى القناقي للأب أنطون حلمه المفزع.

قال الأب أنطون

كنت تعباً وجريحاً، والأمر لا يعدو أضغاث أحلام.

هذا الحلم مختلف. قد أتعرض لخيانة من جار لي.

انت تفكر كثيراً بالسفارة وما جرى بها.

لم أرهب في حياتي حد السيف الآن أخاف جاري الذي غدر بي.

النتناول طعامنا، بعد ذلك تفكر بالخطوات القادمة.

لم يتناول القناقي إلا لقيمات صغيرة، مع أنه كان جائعاً، فرؤية المنام مفزعة بل لعلها إشارات لما سيحدث في قادم الأيام، وإن تحقق شيء منه، فسياتي الشر من جهة لم يكن أحد يحسب حسابها ، أو على الأقل لم يكن يتوقع خطرها. في الدرجة التي تجلت فيها فيما بعد.

أخذ الحديث بعد ذلك مجرى آخر، إلى أن انتهيا من شرب

الشاي.

قال الأب انطون:

لنقم ونتوجه إلى غرفتي، حيث مكتبي لأن الأمر يحتاج إلى كتابة أفكار، ووضع خطط للمستقبل، استقرا في غرفة الأب أنطون. كانت ذات إطلالة بانوراميه). منها تتجلى أشجار الغابة بجلال مشوب بجمال، وبدت للقناقي من مجلسه نباتات ليلكية متسلقة على جذوع الشجر جف ويبس، فكسته بالخضرة واللون.

قال الأب أنطون:

أننوي تحويل النشاط العسكري، إلى نشاط سياسي مدني؟

أرغب في ذلك. وسأضرب المثل لبقية التنظيمات، لكي

تحذو بقية الأحزاب حذوي

تلك الأحزاب تفتقد إلى مقومات الأحزاب إنها أشبه بعصابات يحركها الخارج، وعندما تلقي بسلاحك تغدو الأضعف.

لن التي سلاحي.

كيف ستتحول إذا إلى حزب سياسي مدني؟

أراك سددت فوهة قبو النبيذ من طرف البحيرة؟

لم تجبني على السؤال ما علاقة قبو النبيذ بذلك؟

إن براميلك الآن فارغة سأملوها مجدداً بالأسلحة والذخيرة. فقد احتاجه إليها يوماً.

تعني أنك تعود إلى القتال إن اقتضت الضرورة ذلك؟

نعم هذا ما قصدته بالضبط.

هل تشاورت مع مجلسك بهذا ؟

لم تتوسع بالنقاش، لكنهم فهموا ما أعني، فسلاحنا سيبقى للضرورة.

علينا في هذه الحالة، ملء البراميل، وبقية الزوايا والغرف

كما كنا نفعل أيام الاحتلال.

قد تحتاج الأمور إلى حذر أكثر.
على كل سنضع أهداف الحزب معاً الآن. ثم ندعو مجلس

الشورى للنقاش.

قال الأب أنطون :

ماذا ستسمي حزبك الجديد ؟

قل حزبنا ، لأنك ستكون أحد قادته؛ بل زعيمه.

- أنتم قائلتم وعشتم في الخنادق، ومن البدهي أن تكونوا اركانه، لكن هذا لا يمنعني من المشاركة.

كنت تؤوينا في ديرك. وتساعدنا في نصحك أليس هذا

جهاداً ؟

المجاهد الحقيقي: من يحمل البندقية.

قال القناقي:

اقترح أن يكون اسم الحزب (حزب المحبة والسلام).

اسم جميل.

- سيكون حزباً غير طائفي، يضم كل أطياف نسيج المجتمع العراقي، يضم الكرد والعرب يبغض الشوفينية والتعصب فيه كل المذاهب والأعراق. تتجمع الوطنية والمواطنة في أعضائه يدعو إلى سيادة القانون على الجميع. لا يخضع لإملاءات أجنبية. يدعو إلى دولة معافاة، فيها الرجل المناسب في المكان المناسب لا سلطة

للدين على السياسة ولا سلطة للسياسة على الدين وفي هذه الحالة يبقى الدين سيد الأخلاق وتبقى الأديان متضامنة لأن مصالحها غير متنافرة، وكانت سابقا تتنافر بفعل السياسة.

لن يعجب ذلك رجال دين يمتطون عباءاتهم للزعامة الدنيوية.

هؤلاء قسموا الناس شيعا وأحزابا ، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد نهانا الله عن ذلك.

- المصيبة الكبرى أنهم أدوات بيد الخارج يتحركون كالدمى. ويخربون بلدهم بدون وازع وأغلبهم جهلة.

قال القناقي:

سأسعى إلى أن أضع في دستور الحزب، فقرة قد لا تجدها في

دساتير العالم.

ما هذه الفقرة؟

- إحداث وزارة للذكاء، من مهامها إنشاء مراكز أبحاث والتركيز في الجامعات على العلوم. ومن ضمنها الرياضيات والفيزياء الذرية.

لن يرضى عنك لا الشرق ولا الغرب.

- هم بالأساس يتمنون زوالنا، أو تقسيمنا عمودياً، وأن تترك قيمنا، وندخل في دائرة الانحلال الخلقي، لقد ضربوا كل مفاعل في مهده، حتى بيئسوا شعبنا ويحبطوا زعماءنا، لكن تؤخذ الدنيا غلاباً.

هذه منطلقات إيجابية وفاعلة، ولكن يجب تعزيزها.

بماذا ؟

بسياسة ذكية، توجد أرضية مشتركة بين العراق وبين معظم الدول، فالدول تصادفك لمصالحها وتدعمك، والقانون الذي يحكم هو تبادل المصالح، لقد عادينا سابقاً الجميع، وأحيانا بدون مسوغ واتسمت سياساتنا في كثير من الأحيان بالمزاجية لا بالمنطق.

- من هنا على السياسي، أو الزعيم الذي يحكم بلده، ان يدرك ذلك. أغلبهم يفكر بمصالحه فيعادي من يمكن أن يستفيد منه أو يدعمه، هذا تفكير بدائي، لذلك على من يتولى الزعامة أن يدرك ذلك بعمق

- صدقت فاليابان قد أحرقتها أمريكا بالقنابل الذرية . ولم

تهدر أموالها على تجييش الجيوش . بل سعت إلى التفوق الاقتصادي

والتكنولوجي والصناعة المتميزة. أرادوا أن يكون الانتقام

بالتفوق التكنولوجي والعلمي، ومن ثم الاقتصادي؛ لأنهم أدركوا أنهم لن يستطيعوا التفوق العسكري، والتفوق الاقتصادي خطره أكبر، وهو يحقق انتصاراً لا يقل عن الانتصار العسكري، وها هو الاقتصاد الياباني والصيني ينافس الاقتصاد الأمريكي وسيتفوق عليه الاتحاد السوفييتي زال بدون حرب أخذ من داخله. واحد عناصر زواله: الاقتصاد نفسه، لقد تراجع الاقتصاد رغم غزارة

الموارد الطبيعية.

علينا التمعن في أسباب نهوض الدول وتفوقها، وعلينا دراسة نماذج من تلك الدول، ربما كان الذكاء الإداري، واستغلال العقول الذكية في التجارة الإلكترونية، هو من قفز بالدولتين اليابان - والصين إلى الأمام قفزات نوعية قرأت مرة أن (بريجنيف اشترى لنفسه سيارة مارسيدس) المانية، كان يجوب بها شوارع موسكو معظم يومه، متمتعا بقيادتها، في الوقت الذي حرم على شعبه استيرادها بأية طريقة كانت هذه الطرفة ربما تفسر المأساة التي حلت بشعب الاتحاد السوفييتي، وهو شعب عظيم. لكنه حرم من زعامات تفهم السياسة الدولية كما يجب أن تفهم، وتفهم قوة الاقتصاد وسر انتشاره وتفهم رغبات شعبها بمنحه حرية التعبير والاختيار واستغلال ذكائه ومواهبه.

لا تنس أن يذكر في الدستور، انتقاء القادة السياسيين من

أذكياء الأمة، ومن العقلاء حتى لا يدفع الشعب ثمن حماقاتهم.

هل يتركنا المحفل الشيطاني، تتطور بيسر دون أن يحطم مسيرتنا ؟

- نحن أحياناً تخترع القصص لنسوع عجزنا هذا المحفل موجود وغير موجود ربما هو مزروع في مخيلتنا ، لكن من زرعه؟ ربما أعداؤنا هم الذين اخترعوه، وان كان موجوداً، فلماذا لا يكون لنا نحن العرب محفلنا، لكنه محفل مختلف: إنه محفل

خير للأمم العرب في مختلف الأمم لهم جاليات كبيرة، لماذا لا تؤلف جماعات على شكل (لوبي) يخدم قضايانا، وقضايا المستضعفين أمثالنا ؟ لماذا لا تؤلف نوادي اجتماعية، مثلما يفعل اللوبي الصهيوني في أمريكا، حيث يحسب حسابه في الانتخابات الرئاسية.

في أمريكا جماعات ضغط يهودية لها دور يتعارض مع مصالح أوطاننا، بل هو تخريبي لمجتمعاتنا ولمصالحنا. لكن ماذا يمنعنا أن تشكل مثلها في مجتمعات الغرب:

جالية عربية، تأخذ شكل اللوبي أو جماعة الضغط، تسعى إلى ترويج مصالحنا، ويكون لها دور في عملية الاقتراع هناك في أمريكا : الجالية العربية أكبر من الجالية اليهودية، ومع ذلك ليس لها من دور يذكر العلة فينا إذاً.

إننا نخترع مشجباً لتعلق عليه فشلنا، ماذا استطاع السفير أن يفعل غير تلك التمثيلية، التي حاول إخافتي بها. عندما تخليت عن الخوف صار هو يخشاني الشيطان أحيانا يكمن بداخلنا. إن خوفنا هو الشيطان وجهلنا وكرهنا لبعضنا وحتى لأنفسنا هو التنظيم الجهنمي الحقيقي، وليس المحفل المزعوم الذي ما هو سوى (فزاعة للطيور أو كما يقول المصريون خيال المآتة). نهرب من ذلك ونخترع ما يسوغ لنا خوفنا وفشلنا.

قال الأب أنطون

كم هو مضن بل هو عمل مسؤول، واثقل من الجبال

تصديك لقيادة بلدك .

بعضهم يحول بلده إلى مزرعة، ويعتبر وجوده على رأس الزعامة منحة من الآلهة، لكي يملأ جيوبه وجيوب اتباعه.

لكنه يزول كما يزول ضباب الصباح، عند ظهور الشمس

المشرقة.

تركوا السياسة، وتشعب الحديث .....

قال الأب أنطون

أظن أنه تناهى إلى سمعك انتحار جويل، زوجتك السابقة.

تكدر وجه جبور القناقي، ولفه حزن لم يفلح في إخفائه

فقال:

نعم سمعت بهذا، وكنت في الميدان أقول لك صادقاً لو نزلت

فوق رأسي قذيفة مدمرة، لكان ذلك أخف ألما ووقعا على نفسي.

كنت تحبها إذا لدرجة الوله، أو العبادة.

ليس الموضوع كذلك، بل خفت أن أكون أنا أحد الأسباب التي دفعتها إلى الانتحار، ثم قلت لنفسي لو كانت تحبني الحب كله، أو تخلص لي الإخلاص كله لما كانت قد سعت إلى التفريق، وحصلت على الطلاق. قلت لعلها استجابت إلى إغواء المغني الشاب. وفي كل الأحوال كان عليها تسويغ فعلتها ، وأن نفترق أصدقاء

معك حق في هذا الأمر، وعلى كل انسحبت من الحياة وأمرها الآن عند الرب.

- أحيانا أقارن بينها وبين سعاد، أو حتى أمها بديعة اعتقد أنهما عانتا من الأهوال والفواجع، ما ليس له حصر، وربما هو فوق الاحتمال ومع ذلك لم يدفعهما الظلم، إلى الانتحار بل دفعهما إلى المواجهة على الإنسان أن يواجه قدره، مهما كان قاسياً، وأن يسعى إلى تغييره بهمة وإرادة مستنيرة وعقل وتدبير، لا أن يهرب منه منتحراً، واتذكر أيضا أبا أرز الذي كانت معاناته أدهى وأمرا مع ذلك تجاوز محنته واصبح شخصية اجتماعية، وادار وزوجته فضائية ياسر الخوخة، وجريدته وطوراها إلى الأفضل

من يمدك بهذه الأخبار؟

الشيخ حامد الأغبر. لقد ذهبت إلى مسجد التقوى في بيروت وتعرفت إليه التقيت به لأول مرة هناك، وشعرت حينذاك بأني أعرفه منذ زمن بعيد، هل التقينا يا ترى في حياة عشناها ماضية، ثم متنا وبعثنا في هذه الأرض؟ بدا في الأمر هكذا عندما التقيت به.

قال جبور:

كان ياسر الخوخة، يذكره دوماً ويشيد به يذكرنا بأقواله التي تشبه أقوالك، ومواعظه التي تصب في ذات الاتجاه أنا أعرف أن ياسر يساري يبغض الأفكار الكلاسيكية، ويدعو للراديكالية) والثورة، لكنه كان معجباً بالشيخ وكانه أحد مريديه.

الصادق في القول والعمل، يجبر الآخرين على احترامه وأفضل المواعظ هي التي بأعمالنا نضرب فيها المثل للمتلقين.

وكان الشيخ حامد كما علمت ولمست مضرب المثل في سلوكه ونزاهته وعفته لقد أحب ياسر الدين من خلاله، وكان يكره الدين فيما مضى من سلوك رجال ادعوا أنهم يمثلون الدين؛ وفي حقيقتهم يمثلون الجشع وانتهاز الفرص والصعود على أكتاف الآخرين الدين عندهم مطية للوصول إلى المغانم والمناصب، ولم يكن الشيخ حامد الأغبر كذلك، فاستحق الاحترام بجدارة

قال جبور:

- أنت كنت يا أبانا مثله، وهذا سر حبك له منذ شاهدته.

الكثير من امثالك هجروا الوطن وأثروا السلامة قد نجد لهم بعض الأعذار، لكنك بقيت في أرضك صامداً، بل ساعدت من تصدوا للغزاة فكنت واحداً منهم، فأسلحتنا في قبوك، وثقتنا بك كبيرة، فصارت أموالنا في حسابك استمعنا لمواعظك. وكانت من جنس تعاليم نبينا حفظت الكثير من القرآن مما دعانا أن نستوعب عظات المسيح، وهو يلقيها بين الناس فعشنا في محبة ووئام ثم جاء بوش بجيوشه إلى أرضنا، وأعلن أنه بالإنجيل يعمل فأهرق الدماء وانتهك الأعراض بسلوكك كشفت أنت كذبه. ليس كل من لبس ثوبك فهو أخوك أحيانا يتخفى الذئب بثوب الحمل ليفتك

فيما بعد بالغنم.

لقد نطقت بالحقيقة، ولكن علينا متابعة العمل. وعلينا الا

نقف في منتصف الطريق.

ما الرأي عندك ويم تبدأ ؟

سأسافر إلى بيروت لجلب بعض المال. فالحزب الجديد يحتاج المال للتأسيس وفي الوقت نفسه أزور أحبائي الذين اشتقت إليهم.

على بركة الله - وأثناء سفرك سأجتمع هنا في الدير مع المجلس نضع الدستور والأهداف، وعند عودتك، تعلن تأسيس الحرب الجدي حزب المحبة والسلام وسنضع سلاحنا في قبو النبيذ لأننا قد نضطر إليه في يوم من الأيام لنسميه من الآن وصاعداً

(سرداب القوة والسلام

- ليكن الرب معكم

(١١)

وصل الأب أنطون إلى بيروت انجز أعماله المصرفية ثم ذهب إلى فضائية ياسر، حيث تعمل سعاد قيل له : إن الجميع في منتدى

مكتبة الأفق الواسع، ودلوه على العنوان

كانوا مجتمعين، يستمعون إلى قصيدة جديدة لأبي أرز كان يلقيها وكانه يصف حياة مكافح، قد يعني نفسه، ويترنم شدواً.

كان ينشد:

ولدتني أمي في زحمة من عمل.

كانت تفرط أكواز الذرة الصفراء -

لتطعم الفرس الشقراء

كانت أجواؤنا في منتهى النقاء

كنت مترعاً بالأمل.

قبل يومين، كانت تخبز على تنور .

كنا نعيش بكوخ، وسط حقول خضراء.
ابي مات فلاحاً .. خلف محراث.

يحرث الأرض الخواء.

كان يعشق العمل.

محراثه يجره ثوران

من أنفهما الزيد يفور من تعب.

أبي مات كهلاً .. ولم أعرف السبب.

كنت نبتة صغيرة، تبحث عن ندى وضوء.

في تربة صخرية بقرب حرف ونتوء.

رغم كل ذاك لم أعرف المحال والندم.

جئت في زمن الرصاص والقنابل والدم.

في هذه اللحظات دخل الأب أنطون المنتدى أول من شاهده أبو ارز، وكان يلقي قصيدته ووجهه باتجاه الباب ... توقف عن الإلقاء

ونزل .....

أردف، وكانه يتابع مجرى القصيدة

والآن إلينا الأب أنطون .... ينضم..

تعجب المستمعون نظروا إلى الباب، كان الأب أنطون، قد دخل.

وقفوا جميعاً، تقدم منهم مبتدئا بالشيخ حامد. عانقه و قبله.

وتابع مصافحة الآخرين . كان أبو ارز قد نزل من المنصة، واتجه

نحو الأب أنطون فعانقه الأب أنطون عندما التقيا .. ثم قال:

لقد قطعت عليك القاءك أرجو من الجميع أن يتابعوا جدول أعمال المنتدى لهذا اليوم، وسأكون أنا أحد المستمعين

فأنعم بالأفكار النيرة. وأنس بالصحبة الصادقة .... قال أبو أرز

لتغير اليوم برنامجنا، وعلى كل واحد يصعد المنبر، ويقول ما بدا له. يترك نفسه على سجيتها. يتكلم عن أمل يرنو إلى تحقيقه. أو يسترجع ذكرى تتوارد بترجيع قريب أو بعيد. أو كأنه يحدث نفسه في خلوته، ليقل ما يجول في خاطره بدون تحفظ وبدون كلام منمق فلا يخضع لقيد سوى رقابة الضمير

قال الشيخ حامد :

- فكرة جيدة. فخير الكلام وأصدقه ما قيل بدون تحضير

لأنه يخرج من القلب، ويتسم بالصدق ليبدأ أبو أرز وليقل ما بدا له.

صعد أبو أرز المنصة مجدداً، لا ليلقي قصيدة هذه المرة؛ بل ليناجي المحبين من القلب

قال أبو ارز

الحياة فيها جوانب غريبة عصية على الفهم. يبدو أننا لم نفهم الحياة بعد. وقد لا ندرك كنهها أبداً، لأنها موارة ، وتتحفنا بالجديد حيناً، أو ترزونا بالمصائب أحياناً أخرى.

ابدا بحياتي، التي كانت ناجحة مزدهرة، عندما كنت اتمتع بمنصب احسد عليه في الأمن العام اللبناني، سطوة وسلطة وهيبة.

كلها تدعو الناس إلى احترامي خوفاً الاحترام نوع من الحب، لكنك عندما تحصل عليه عن طريق الخوف، يكون حباً مزيفاً حب مصدره السوط. أريد أن يحترمني الناس لصوتي وقلبي لا لسوطي. في تلك المرحلة لم يكن هذا متوفراً حسدني الأصدقاء قبل الأعداء أصحح - هم ليسوا أصدقاء، هم يستعيرون ثوب الصداقة فزوروا أقوالي ليجهزوا علي سعوا لدى أولي الأمر بوشايات كاذبة وبتقارير مفتراة مزورة.

قالوا عني : إني عنصر هدام في تلك المؤسسة، وعايتهم الحقيقية إزاحتي للجلوس مكاني يحدث مثل ذلك كثيراً في العالم الثالث. سرحت وأصبحت بلا عمل تبخر الاحترام وزاد عدد الشامتين، مع أني لم أسئ الأحد، أو أضر أحداً.

جعت فاضطررت للعمل سائق سيارة أجرة، وتجرعت الذل بمرارة كا العلقم كنت اضطر لنقل المومسات من البارات والقوادين من الحارات، كنت فيما مضى أحارب هؤلاء وأولئك، وأزج بهم في السجون صرت الآن لهم السائق أسمع ضحكاتهم الشامتة المستهزئة بالمصير الذي انتهيت إليه ما أقسى الحياة حينما تقذف بك إلى ذل لم تكن يوما لتتوقعه

زورت هويات ونقلت أشخاصا عبر الحدود وكانوا مطلوبين. انحدرت إلى القاع بعد أن كنت في الذرا، لكني لم أينس لأني

وجدت أناساً مثلي قد ظلموا ، فالحياة على الأرض مليئة بالظلم.

تعرفت على الشيخ حامد الأغبر وعلى ياسر الخوخة، اثنان مثلي ظلما وأخرجا من ديارهما بدون حق أحببت ياسر الخوخة، سليل اسرة برجوازية تمرد على طبقته. كان يسعى إلى رفع الظلم عن المستضعفين كان بإمكانه أن يتمتع بثروة أبيه، ويترك الفقراء لمصيرهم، لكنه أثر الكفاح من أجلهم. رفض المناصب التي تأتي عن طريق الغدر فغدر به مرتين أو ثلاثة، بل أكثر، والنتيجة كانت ذهاب ولديه إلى الحرب في العراق عاطفة الأبوة دفعته إلى الذهاب إلى هناك والبحث عنهما وسط جحيم ملتهب وقد شاركته ذلك هرباً من خيانات ارتكبتها زوجتي بحقي ، فهربت مع شخص غب انشغالي بأعمال الوظيفة. لقد خانت وغدرت المصائب أحيانا تأتي متلاحقة متكررة، كان ذهابي مع ياسر إلى العراق، هرباً من نفسي، ومن الآخرين. لكنني لم أكفر بالحياة، أو أطلب الانتحار.

وفي العراق - تعرفون قصة الفاجعة التي وقعت وشاركتني فيها سعاد، كأقسى ما تكون المأساة فوجدت أن عدو الداخل مشترك مع عدو الخارج في الغدر واللوم. ولو لم يتعاهدا أو يتفقا أو يتلاقيا لأن النتيجة واحدة .... وق يكون عدو الداخل أخطر.

وحين أصفو إلى نفسي، وأنا أقرأ فلسفات العالم. أجد أن فكرة التقمص التي يؤمن بها بعض البشر هي حقيقة رمزية على الأقل. فلقد عشت في عمر واحد. عدة حيوات من كان يظن اني

سأصبح شاعراً ، كنت في صغري أحب الشعر والأدب، لكني لم اكن لأطمح أن أكون شاعراً أو اديبا، عدة حيوات عشتها بمراراتها ومسراتها تعذبت عذابا أشبه بالجحيم، لكنني كما الحديد الذي يسقى بالنار، ليغدو فولاذاً يقل الحديد.

بفضل اصدقائي الأوفياء أصبحت شاعراً، ثم رئيس صحيفة ومدير فضائية. أصادف في طريقي أحيانا زملاء الأمس في الأمن اللبناني، وقد تقاعدوا، منهم من ضاع في المقاهي وبعضهم أكل التضخم معاشه. يرجونني أن أجد لهم عملاً في أواخر أيامهم فأساعدهم في أكثر الأحيان .... فأقول لنفسي:

لولا محنتك التي ألمت بك يا أبا أرز، ولولا مكائد الحساد ، لما كنت وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم كيف لي أن أتعرف على الشيخ حامد، وياسر الخوخة، وسعاد، وأنتم أيها الطيبون الذين تستمعون إلى اعترافات رجل أرمضه الدهر ما كنت لولا تلك المرارات والإخفاقات، لأتعرف عليكم سأوصي ابني يوماً الا يجزع من المصائب التي يرسلها الدهر بل يرحب بها.

ولكن عليه ألا ييئس ولا يخاف، فالياس والخوف هما أشد أعداء الإنسان فتكاً وهما أخطر أعدائه أذى. والصديق الطيب أثمن ما يملك الإنسان، وإن أنس لا أنسى مواعظ الأب أنطون في ديره الذي اشتقت إليه، والتي وجدتها بعد تمحيص أنها وأقوال شيخنا حامد صنوان بل هما توأمان

أرحب بالأب أنطون. وسينزل في بيتي ضيفاً عزيزاً، بل هو

صاحب البيت ونحن ضيوفه. ثم توجه ضاحكاً ومخاطباً أصدقاء

الأب أنطون

لا تحسبوا انكم ستظفرون بأخذه ضيفاً. (الفوز لمن سبق).

نزل من المنصة، داعياً (تغريد) إلى المنبر.

صعدت بهمة ومشية نشطة ... لا يذكر ياسر فيما مضى أنها كانت تفعل ذلك تذكر يوم دخلت المكتبة نفسها ، وكان هو موظفاً فيها لا مالكاً لها مثل اليوم. كانت تتأبط ذراع (المسيو) برهان تظن أنها ملكت الكون بصداقته، ولم يكن برهان أكثر من قواد و سمسار مستغل تافه . يبيع كل شيء في سبيل المال. كانت يومذاك قد انغمست وابنتها جمانة في حياة الملاهي الليلية بين السكارى والقوادين، وكان زوجها في حلب يحتاج إلى من يساعده في غسل كليتيه .

أمسكت (الميكرفون وعدلته، ثم قالت:

- سلام الله عليكم أيها المبجلون الأفاضل، سلام على من ارسلهم الله ليخرجوا بعض عباده من الظلمات إلى النور، بل من الموت إلى الحياة.

اوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ....

بعضكم يعرف القصة كاملة آخرون يعرفون بعضا منها وقد لا يعرف البعض أطوار حياتي وحياة ابنتي جمانة كلها.

الخص حياتي بجملتين من الملهى والضياع، إلى (استوديو) الوعظ الأسري والإرشاد).

لعلها مفارقة، ولكن أليست الحياة جملة مفارقات؟ وإذا لم تكن كذلك، فكيف للأقدار أن تضحك بملء أشداقها.

حياتنا في حلب خطا متكرر، لا يوجد أي هدف فكري، أو مثالي أو اخلاقي تسعى إليه، كان شعار الأسرة: طعام جيد. غناء وخمر... دعة وخمول

يقول زوجي:

هذه الدنيا العابرة مليئة بالمسرات، فلنعب منها ما استطعنا !

عمل في بلدية حلب مراقب بناء من حسن الحظ، المخالفات أكثر من أن تحصى أحياء كاملة سميت بالأحياء العشوائية وعلى زوجي أن يستفيد.

كانت الأموال تأتيه ليغض الطرف فامتلأت جيوبه أنفقنا كل الأموال على مدى سنين في المطاعم الراقية. يعب من الكونياك الأرمني، ويطرب للغناء الحلبي والقدود عندنا عود يعرف الأب وتغني ابنته في المساء سهرتنا في المقاصف تمتد حتى الصباح مر الزمن بسرعة كبرت جمانة، وسافر أخوها للعمل في الخارج، فعمل نادلاً في أحد

مطاعم السويد. إن الزمن لا يصفو حتى النهاية، ومن طبعه الغدر .... أصيب زوجي بالفشل الكلوي وكانت أخته العانس الأكبر سناً منه، تعاني أيضا من داء السكري.

كانت ابنتي، تغني أحيانا في حفلات الأعراس كهاوية.

تمكنت منها هوايتها، فقررنا السفر إلى بيروت للاشتراك بمسابقة الأصوات الجميلة، في (استديو) المخرج المعروف برهان هو من الخارج شخصية لامعة، مضاءة بالدعاية الكاذبة المتبجحة، وهو في حقيقته قواد سافل

نجحت ابنتي، وصارت تغني في الملاهي الليلية، وعن طريق (بنسيون المحبة، تعرفنا على مزيد الخشن)، صديق ياسر، وهو مطلوب للعدالة لأنه قتل عنصر أمن كان يلاحقه، وبسبب ذلك ورط ياسر الخوخة معه، فهربا إلى لبنان تزوج (مزيد) من جمانة ثم عمل بلطجياً وحامياً لها من السكارى، لكنه قتل بزجاجة ويسكي مكسورة القمر غاصت في رقبته لم نرتدع لأننا كنا نظن أن الحياة هي لعبة البيضة والحجر. أعطانا القدر إشارات لم تفهم معناها ولا تحذيراتها.

بواسطة برهان نفسه، دخلت فضائية جويل الناصوري إلى (استديو الأبراج والشعوذة، كنت أكذب على الناس مدعية أنني أفهم حركة النجوم والسحر. بعض الناس يحبون أن تدجل عليهم وتكذب استفدت من هذه المسألة. لكن برنامجي وبرامج المخرج برهان انحدرا بالمؤسسة الفضائية إلى الحضيض، فرغب الناس عنها، وخسرت المحطة وانزلقت لأن جويل اتجهت إلى الربح السريع وهجرت المبادئ لم يعد أصحاب الفعاليات الاقتصادية يستخدمون الترويج فيها ، فخسرت واشتراها ياسر الخوخة، عندما

ملكها طردنا منها، ومعه كل الحق، ماذا يعمل بنا؟ إنه يحمل منهاجاً مختلفاً، ورؤية ذات أفق. ليس من ضمنه الدجل.

في قرارة نفسه ... يظن أننا السبب في قتل مزيد) وجره إلى المباءة الفاسدة .. جعنا وساءت حالنا توسطنا لدى أبي أرز لنعود إلى العمل عند ياسر، لأننا نعرف ان ياسراً لا يرد له طلباً، فوظفنا ياسر عاملتي تنظيف في مكتبته هذه، تجرعنا الذل، وقلنا نحن نستحق العقاب، عسى أن نتطهر من الإثم. حتى أقنعنا أنفسنا أخيراً أن العمل مهما كان ليس عيباً. وحظينا بمرجعية صالحة هي ياسر نفسه والشيخ حامد وجهانا إلى سبل الرشاد وللقراءة والثقافة، فقرانا وتثقفنا، وأرسل لنا الرحمن، من أعاد إلى جمانة جمال السابق عدت إلى حظيرة الإيمان، وتشبعت بالمثل، فاستيقظ الضمير الذي لبث في كيفه سنين عدداً، كنت من أهل الكهف، لأن ضميري كان في كهف هاجعاً، من حسن الحظ أنه لم يكن ميتاً.

لم أكن وفية للزوج الذي مات وأخته وحيدين، وهما بأمس الحاجة إلى المساعدة وعندما راحت ابنتي تغني في ذلك الكهف الليلي للسكارى والشاذين كنا نظن أننا في عين الحياة الاجتماعية وسط الأضواء

الحقيقة أننا كنا في ظلمة الكهف. أخرجنا منه الشيخ حامد، وياسر الخوخة . أصبحا لنا المرجعية ، وأيقنا : أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . عندما تغيرت أنا تزوجت من جواد شبروم الناصري العتيق الذي افتخر به رزقت على الكبر بعيد القادر، وأنا في السابعة والأربعين، لم لا؟ النبي زكريا ، كان

شيخاً وكانت امرأته عجوزاً رزقا بأنبياء، تعلمت كل ذلك من قراءاتي، وكنت عاملة تنظيف في هذه المكتبة. يمكن للإنسان أن يرتقي ولو كان عامل تنظيفات وعندما تغيرت جمانة ابنتي ثالث الاحترام، وحظيت بالمال الحلال، وأصبحت تغني للوطن والحرية، حصلت أموالاً كثيرة لكنها تبرعت بها للمحتاجين و للمهاجرين من السوريين الذين دمرت بلادهم، أعني بلادنا. الأسباب تعرفونها. كانت فتنة، وعقاباً أصاب الجميع: " وَاتَّقُوا فتْنَةٌ لا تُصيبن الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً " لم يكن أحد معنا، فأدركنا كم نحن بحاجة إلى التعاون، وأن أي انقسام ليس في مصلحة أحد منا لقد كنت في كهف كما قلت لكم. والآن خرجت إلى النور أسعد بعد كل حلقة توجيهية في التلفزيون.
أصبحت أوجه الناس بعد أن افتقدت التوجيه لردح طويل من الزمن. از من مع أبي أرز أن الإنسان يمكن أن يعيش أكثر من حياة، إذا وجد الموجه الرشيد.....

جويل الناصوري، لم تجد من يوجهها في آخر أيامها. إنها دكتورة في الاقتصاد وصاحبة خبرة، لكن يمكن للإنسان أن يفقد توازنه في كافة مراحل حياته مهما بلغ شاوه، إذا تجاوز قوانين الحياة والطبيعة، وكان يفتقد البوصلة أو المنارة لقد تخلى عنها الجميع مع الأسف ولا أعلم السبب فلم تستطع أن تتحمل كل آلامها فآثرت الرحيل .... إنني حزينة من أجلها !

نزلت من على المنصة وهي تبكي الدموع على خديها كمطر

على بلور.

صعد المنبر زوجها جواد شبروم . فحيا أصدقاءه ، وقال : حال

قلبت زوجي تغريد الأمور إلى حالة مأساوية ونزلت باكية. سأقلب هذا الجو القائم الذي رسمته أجد أن البكاء لا يفيد، وفي مطلق الأحوال جميع الناس سيرحلون بميعادهم، لكن علينا نحن الأحياء أن نستخلص العبر أريد أن أخبركم أن ياسراً كان سيرد جويل إلى الفضائية لتعيد سيرتها في العمل، والشيخ حامد يعرف ذلك. ولقد حزن عليها أكثر من أي شخص يعرفها، ذلك أنه أحبها لأسباب، أهم سبب هو مأساتها بزوجها الأول، ثم لاعتناقهما الأفكار نفسها التي آمن بها؛ لأن الإنسان مرشح للتحول والتغيير فالشياطين موجودة، حيث لا نتوقع وجودها. يمكن أن أطلق على مرحلتنا التي عشناها معاً : (سفر التحولات الممكنة).

إن حياة الإنسان (سفر) من خلاله تتحول لا أريد أن أتكلم في الأمور الخاصة لأصدقائي، ولكني أريد تصحيح خطأ ارتكبته تفريد بقولها : لا أحد وقف مع جويل ياسر حزن حزناً لا يوصف عليها، واعتكف في المسجد أياما لا يبارحه حزناً، لكنها هي سامحها الله خرجت عن معادلات الكون. قد يبدو قولي غريباً. فمن يستطيع الخروج

عن معادلات الكون قطعاً لا أحد يستطيع الخروج عن معادلات الكون المادية. فلا أحد يغير نظام الجاذبية أو يجعلها تمطر بدون سبب، لكن للكون معادلات أخرى غير مرئية ، لا يفكر بها البشر كثيراً ؛ لأنهم يهتمون بالظواهر المادية فحسب.

أريد أن اسميها الظواهر الروحية والأضرب مثلا:

الظلم لا يستقيم مع الحياة، لذلك قيل : الظلم مرتعه وخيم أي أن الظالم سينال جزاءه في الدنيا قبل أي حياة أخرى القاتل سيقتل في يوم ما. وقد جاء في الأثر : (بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين.

مزيد الخشن) قتل في الملهى. وقد يكون ذلك عقابا له على قتل

الشرطي الذي كان ينفذ واجبه. تيتم أولاده وفقروا.

بعض الناس يظن قولي ترهات أو شطط - أو شطحات هل

أضرب مثالا آخر؟ وليعذرني الأخ ياسر وأبوه ومدام جورجيت

جاء في القول المأثور:

المال الحرام يذهب هو وأهله لقد احترق يونس الخوخة.

والمرحوم زهير - وأنا آسف لأنني اضطررت لإيراد هذا المثل -لكن الحق أولى أن يحق وأن يقال .... وما نبت من السحت فالنار

أولى به ... كان ذلك مأساة

لا أريد أن أكون واعظاً، ولكن قولي هو رد على كلام زوجي تغريد، لقد خرجت جويل عن القواعد فحل بها ما حل لا نعرف سريرتها ولا دواخلها، لذلك سيكون حكمي ظاهرياً، لكن الله يعلم الأمور كلها ما ظهر منها وما بطن، وهو الذي سيحاسبها،

وأنا هنا لست بموقف الديان

تزوجت جويل جبور القناقي طمعاً بالمال، وتركت ياسراً بعد أن كانت قد وعدته بالحب والزواج. ثم في آخر المطاف، تزوجت ممن هو أصغر من ابنها ولا تعرف الدوافع كل ذلك خروج عن

القواعد التي وضعها الله لعباده. ولكن أكثر الناس لا يتفكرون أريد أن أشيد هنا بموقف الشيخ وموقف ياسر فعن طريق هذه المكتبة راكمت الثقافة، وعن طريق هذا المنتدى تحرك الفكر الساكن لدي، مثل مستنقع تحول إلى بحيرة يخرج منها نهر، بعد ان رفد من نبع غزير ثر كنت في يوم أريد نقل القلعة في حمص من مكانها.

ستضحكون (ضح الجميع بالضحك) لكنني يومذاك كنت جاداً، لأنني لم أكن ناضجاً ولا أفهم السياسة مطلقاً من دكان الحلاقة البائس إلى نائب الأمين الاتحاد القومي بحمص، أيام الوحدة مع مصر لم أكن لأحلم بهذا المنصب، ولا في المنام، لكن ذلك حصل ! صار بعد ذلك عبد الناصر في ذهني نصف إله . هكذا تصرفت القيادة آنذاك، لإبعاد الأحزاب التي حلتها. لم يكن هذا وضع الرجل المناسب في المكان المناسب؛ لأن

الاستراتيجية يومها الولاء قبل الكفاءة، واتبعت هذه السنة فيما بعد، على مختلف المراحل. كنت أدافع عن النظام في كل ما يصدر عنه من خير او شر .

كأنني أدافع عن وجودي ليست الوطنية من هذا في شيء وليس أيضاً الولاء من هذا في شيء .

إذا أحببت شخصاً انقده، وأبين له أخطاءه إن أخطأ، وإلا كنت له مضللاً، النصح لأولي الأمر واجب. لم أكن أدرك ذلك، حتى دخلت المكتبة هذه وقرأت مئات الكتب. فتغيرت لدي الأحكام. كل حاكم واثق بقدرته وبعد له يقبل النقد، وهذا أحسن سياج

الحماية الوطن في بلاد الغرب يكيلون أقذع الألفاظ لرئيس حكومتهم، فلا يتغير شيء، وينام الرجل في فراشه هانئاً في العالم الثالث إذا ذكر الرئيس بنقد وسمعه احد وصمت ينام ليلته قلقاً خوفاً من زوار الفجر الذين يقودونه إلى (بيت خالته). فلا يعرف متى يخرج، وقد يكون خروجه إلى القبر فوراً، هنا مكمن السر فالخوف الذي يعشش في النفوس، يشل الإرادة والإبداع، ويخلق الشخصيات الهزيلة التي لا تدافع عن الوطن، ولا عن قائد الوطن، عندئذ يسود شعار : الذي يأخذ أمنا ... نسميه عمنا فتنتشر الانتهازية والنفعية ويستشري الفساد، ويعم التملق والتمسح، وينتقل الكثير إلى حظيرة الإمعة، أو الربيضة التي لا رأي لها ولا موقف كل من أخذ أمنا أصبح عمنا.

وكم لنا من أعمام مروا عبر التاريخ، فافترسوا أمنا : سلجوقيون، مماليك، فرس ورومان، أتراك وتتر . فيا لهذه الأم التي نام معها حثالات البشرة وبقيت نقية طاهرة. فكم عانت من القرف والقهرا وكم لعنت العاقين من أبنائها !

ما زلت أحب عبد الناصر لأنه لم يكن خائناً، بل مجرباً أفكاره في البشر. يصيب مرة ويخطئ مرات كل حاكم إن لم يأخذ برأي الخبراء والحكماء لديه يخطئ. وحينئذ نسميه متعنتا ودكتاتوراً. علينا أن نعطي كل إنسان حقه في الوصف، حتى ولو كان عدواً.

استميحكم عذراً قد أكون أخطات في بعض الأفكار، أو طرحت الأمور بشكل فج.
ويغفر لي ذلك كوني ما زلت حلاقاً ثرثاراً.

ضحك الجميع وهو ينزل من على المنصة ليقول في سره:

نجحت حيث فشلت زوجي ... فلقد زال الحزن وبدا الفرح على

الوجوه).

كم تغيرت يا جواد شبروم، الآن تحق لك القيادة، لكن هيهات هيهات، إن جماهيرك قد ذهبت، وعصرك ولى، ولكل زمن دولة ورجال، إنه (سفر) التحول بفعل الزمن كما قلت، فهل يهلكنا إلا الدهر **؟!**

وصعد المنبر ياسر الخوخة فقال:

كنت في بداية حياتي تلميذاً ذكيا في دروسي غبياً في اختيار أهداف حياتي، وفي اختيار أصدقائي ولا يفهم من هذا أن ضميري كان ضامراً، بل على العكس، يمكن أن أقول إنه كان

تائهاً

أمي طيبة بسيطة. وأبي كانت اهتماماته كلها بتجارته وأصدقائه

ومنهم متنفذون شاركوه بدون جهد أو مال ليحمي نفسه شاركهم ليرد أذاهم

كنا اثنين، أخي زهير وأنا لم نلق التوجيه المثالي كما يجب ولم تصلح أفكارنا وأخطاؤنا، لأنهم لم يراقبوها فيصححوها.

فيما بعد وجدت ذلك، عند الشيخ حامد الأغبر، وعند الأب

انطون في العراق. لم يكن الشيخ حامد الأغبر شيخاً بالمعنى المألوف لكلمة الشيخ، ففي مجتمعنا مع الأسف كل من وضع

على رأسه لفة بيضاء أو سوداء يستطيع الحصول على لقب الشيخ. وبهذا المعنى يمكن أن أطلق على الشيخ حامد لقب النبي المصغر. أو الحكيم المتنور، الذي يعيش بيننا. لم تكن أفكار الشيخ متناقضة مع العلم وانعكس ذلك على سلوكه، ولا قيمة لوعظ أو كلام بدون رصيد من عمل إذا لم يكونا متلازمين.

أعود إلى سيرة حياتي فأقول : إن يونس الخوخة استطاع أن يضمني إلى تنظيمه، وكنت في مرحلة المراهقة حبي للعدالة هو ما دفعني إلى الانتساب الآخرون يدخلون طمعاً في المناصب والمغانم كانت منطلقات الحزب أن الكون كله مادة وحركة وطاقة ، وتساءلت

مرة: أين الروح إذا ؟

أجابني يونس الخوخة نفسه:

- الروح شكل من أشكال المادة، أرأيت إلى الكهرباء وهي تضئ المصباح؟ اكبس الزر يذهب النور.

الروح شكل من أشكال المادة اقتنعت بذلك؟ وصرت أفسر الأشياء على أساس هذا المنهج. وفي يوم خطف يونس الحزب وخطف أخي زهير وهربا بالأموال أصبحا من أغنياء العالم لو كانت لديهما ذرة من إيمان أو وطنية أو ضمير لما فعلا ذلك. النتيجة: إن المال الحرام، يذهب هو وأهله كما قال جواد كل إنسان يخطئ، والخطأ من صفات الإنسان. وقد يكون ذلك لكي يتعلم ويأخذ الدروس، فالأخطاء خير معلم، والرجوع عنها خير فضيلة، لقد عدت من رومانيا محباً للمال قاسي القلب رجعت بغاية الانتقام.

ويومذاك اعتقدت أنني بالمال استطيع الانتقام، ولكن الانتقام يعني التدمير، فأي نتيجة أحقق منه بعد تفكير طويل تبين أن المسامحة هي أقوى أنواع الانتقام، لأنها تغير المنتقم منه إلى النقيض، يصبح يتلو علينا من إنجيل متى . أسيرك وطوع بنانك كان هذا نتيجة بذرة بذرها الأب أنطون، وهو

القد قيل قديماً عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول من ضربك على خدك الأيمن در له خدك الأيسر أيضا) غيرت فكرة الانتقام، واستبدلتها بتغيير الغريم باتجاه المحبة، ونزع السلبية منه وغرس الإيجابية فيه. كانت هذه الأفكار صدى لما كان يقوله لنا الأب أنطون في ديره تراجعت عن فكرة الانتقام لأنني وجدت أنني بالحب والوعي أستطيع التغيير وأنقذ بدل أن انتقم، وكنت سأحاول ذلك مع جويل، لكن القدر سبقني ... ووجدت أن الدين الحق ما هو إلا وعي وضمير، تجسد في مكارم الأعمال الإيجابية ومن هنا أيقنت بأن الحياة مادة وروح في نهاية المطاف وجدت أن على أولي الأمر منا، سواء كانوا مفكرين أو قادة حضاريين أن يركزوا على أمرين العقل والضمير فكل ما ينميهما

هو من أسس الصحة الروحية، والرادع الأخلاقي، والدين بهذا المعنى هو الضمير الذي تجسد وتشعب إلى تفاصيل

بهذه المناسبة أعدكم بأنني سأنقل جميع أموالي من رومانيا إلى سوريا ولبنان، لتعمل في هذين البلدين نشاطاً واستثماراً، وأظن أنهما بلد واحد ، ليخدم هذا المال الشعب الذي منه نما، فالمال

خادم وليس مخدوماً، وسيلة وليس غاية. لقد خرج مــال أبــي مـن

بيئته ليخدم الغرباء أهل البلد أولى به.

صفق الموجودون كلهم، ووقف الشيخ حامد يضم ياسراً، وقد

نزل من المنصة، ويقبله قائلاً :

أنت ولدي الذي أعتز به. لقد لبست ثوب الإيمان طاهراً نقياً.

أهنئك من القلب، على إيمانك اليقيني، الذي ملكته بعد اقتناع

ولم يأتك من ميراث أو عادة).

وبدوره قام الأب أنطون، وعانقه قائلاً:

ليباركك يسوع ، لقد سمع ما قلت، وهو الآن معنا، وحتى انقضاء الدهر، فإيمانك يا بني، هو الإيمان الحق الإيمان ليس حكراً على دين أو فئة أو مذهب، إنه ملك القلوب الدافئة.)

صعدت المنبر جورجيت امرأة أبيه فقالت:

قتل المجرمون زوجي وابني الوحيد في الحرب الأهلية اللبنانية ونجوت بأعجوبة. وحتى أعيش جعلت من بيتي الواسع (بنسيوناً)، ونزل عندي ياسر الخوخة، وكان ذلك اليوم مضيئاً ومقدساً. مثل ليلة القدر. كان يشبه ابني تماماً، بكيت بين يديه فضمني كام. ومنذ ذلك اليوم عادت لي عائلتي المسيحيون المارقون وهم لا يستحقون اللقب. قتلوا زوجي وولدي والمسلمون ضموني إليهم كام وزوجة مثلما قال الأب أنطون: الإيمان ليس حكراً على دين أو فئة أو مذهب عادت لي السعادة، وأترعت باليقين، فكاني خلقت من جديد. كنت أحلم بسوريا الكبرى دولة قوية بين الأمم

أبناؤها يعيشون بكرامة وعزة تقود الحضارة الإنسانية كما سبق أن قادتها ، فأوجدت الأبجدية وحولت البحر المتوسط إلى بحيرة كنت أظن أن مجرد إيماني بفكرة أنا ورفاقي سيغير العالم. كان ذلك وهماً التغيير لا يتم إلا بالعمل الدؤوب والممنهج كثير من الدول العقائدية زالت أو فشلت ودول ليس لها من العقائد سوى الحرية والعدالة والمساواة وسيادة القانون وجب العمل سادت و عظمت وانتصرت مثل اليابان وماليزيا ودول جنوب شرق آسيا .

بالعمل والعدالة وسيادة القانون، وبالحرص على حرية شعبها قويت ونهضت بفترة وجيزة جداً. بلادنا التي ضربت المثل في كثرة عقائدها السياسية، سبقت بل تراجعت لقد دعاني هذا إلى تغيير فكري ومنطلقي، وجرت تحولات سببتها التجارب والقراءات وجدت أن الصراع القومي جلب للإنسانية الحروب والكوارث. ووجدت أن كل عقيدة

سياسية، تقسم أبناء البلد الواحد عمودياً أو أفقياً أو دينياً أو مذهبياً؛ هي عقائد هدامة ومدمرة ، وأن المحبة والتسامح الإنساني أقوى من كل ذلك، فالوطن يحتاج إلى قدرات الجميع وإلى إخلاصهم في العمل ضمن سيادة القانون وكانت في وطني أيدلوجيات وعقائد يعارض بعضها بعضاً وتتقاتل، لهذا قتل زوجي وابني اليوم نحن في هذا المنتدى مختلفو الأفكار لكننا جميعاً متحابون لماذا هنا نتحاب وهم في الخارج يتقاتلون، لأننا هنا تحمل الصدق ونبل المقصد، يلفنا الحب ومشاركة الآخر. تعتمد على العقل والضمير، وفي الخارج المصالح الضيقة المتنافرة، إذا

تمتعت بالوعي وحب الوطن، لن تفكر في القتل أو التخريب مهما كان الآخرون يخالفونك في الرأي.

أصر الجميع على صعود الشيخ، يريدون منه حديثاً، فصعد

ليقول:

كنت في حياتي واعظاً. واليوم أجد من هو خير مني لذلك لقد قلتم فأجدتم، وحللتم الواقع بروح العقل والوجدان فاستحققتم الإحسان كلنا ينشد العدالة، وكلنا يطلب سيادة القانون، ولقد ولى زمن ما كان يسمى بالدول العقائدية، فالنازية والفاشية والشيوعية، عقائد طبقتها دول، بعد أن تبنت تلك الأفكار منهجاً لها، لكنها كلها فشلت، وهناك دول لها أهداف تخدم شعبها، ولم تتبن عقائد، لكنها أصبحت من أقوى الدول كل الناس تتغير برحلة العمر، ولكن علينا أن نتغير للأفضل.

فيحب بعضنا بعضاً تحت الكلمة السواء، ويتم ذلك بالوعي ويقظة الضمير والحكمة لاحظوا جميعاً انتم كيف تغيرتم ؟ فمن الذي غيركم ؟

تحولتم في اسفاركم بالحياة إلى الأفضل كله بالثقافة والوعي والمرجعية الشريفة. لقد عشتم كما قال أبو ارز أكثر من حياة في حياة واحدة. اسمي أنا ذلك، سفر التحول الممكن. في هذه الحياة نحن مسافرون، وفي الأسفار أي الكتب نقرأ ونتغير السفر بفتح الفاء يغيرنا. والسفر بكسر السين يغيرنا أيضا .... نتحول كذلك من خلال المتغيرات والأحداث والصدمات والثقافات

فليكن تحولنا تحولاً إيجابيا من طور إلى طور فالله يقول " وقد خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا " ثم نزل الشيخ من فوق المنصة .

أصر الجميع على صعود الأب أنطون، فصعد وقال:

ليس بعد الذي قيل من كلام. لقد أوفى كل متكلم بما قال ولكني سأزف لكم بشرى انسحب المحتل من العراق وحول جبور القناقي مقاومته إلى حزب مدني سماه : (حزب المحبة والسلام)، أنا أحد أعضائه، سنيني العراق وفق الأسس التي بينتموها وأقول لابنتي جورجيت

العراق جزء من هذه البلاد، التي هي منبت الرسل، ولا فرق بين إنسان وإنسان إلا بالعمل والذكاء

ليكن المسيح معنا جميعاً، ثم نزل.

(١٢)

أصر الشيخ حامد الأغبر، على أن ينزل الأب أنطون في بيته ضيفاً، وخصص له جناحاً في داره فوعده أن يبقى عنده أسبوعاً. وقد علم ياسر بذلك، فاتفق مع خزامى أن

يتم عقد قرانهما وزواجهما في أثناء وجود الأب انطون في بيروت. وقال لها : إن هذا الرجل قد أكرمنا في ديره، وأحسن وفادتنا فلنفرح معه بيوم زواجنا ونقلا رغبتهما إلى الشيخ حامد الأغبر، فاستحسن الفكرة وبدؤوا جميعاً بالتحضير للزواج بسرعة انتشر الخبر بين الأصدقاء، وعلم الأب أنطون بالأمر ففرح أشد الفرح، لأنه عرف أن له مكانة عظيمة في نفوس هؤلاء الناس

وقالت جمانة، وهي تزور خزامي في المكتبة:

أرى أن يتم الفرح في ارقى صالات بيروت

قالت خزامى

بعد قليل سيحضر ياسر وسنناقش الأمر معه

وحضر ياسر إلى مجلسهما، فطرحا الفكرة عليه قال:

أرى أن يتم الفرح في صالة عادية، فأنا لا أحب المظاهر، ولا أسعى إلى تقليد الطبقات المخملية.

وتشاور ياسر و الشيخ حامد والأب أنطون، وكان اللقاء في بيت الشيخ حامد.

قال الأب أنطون

- لماذا لا يكون الاحتفال بإكليلهما في هذه الدار، فالمكان واسع، والحديقة غناء.

قال الشيخ حامد :

فكرتك عملية ومعقولة، فليس المكان هو الذي يضفي على الأفراح القها الأصدقاء والأحباب هم من يفعلون ذلك.

قال ياسر

في هذه الحال أقترح أن يكون الاحتفال في بيروت الشرقية بدارة خالتي جورجيت. فالمكان أوسع والحديقة أكبر، والبحيرة ستضفي جمالاً على الحفل.

قال الشيخ:

تلك فكرة سديدة، وعليك يا ياسر من الغد تجهيز المكان، والتعاقد مع جوقة موسيقية.

قال ياسر:

- لجمانة جوقتها الخاصة بها، وستقوم بالواجب وهي سعيدة لأنها منذ البداية عرضت علي الأمر.

قال الشيخ:

إذن يوم الخميس القادم موعدنا.

يوم الخميس كان كل شيء جاهزاً، كان الجميع على أهبة الاستعداد والمساعدة. وحضر المدعوون، وعزفت الألحان أحضر أبو ارز قالباً فخما من (الكاتو). وكان الجميع يجلسون على طاولات و كراس في الحديقة، التي بدت متلألئة بأضواء وأنوار ركبها معدون مهرة جاء مندوب من المحكمة الشرعية ببيروت، ووثق القرآن، وتم التوقيع بحضور شاهدي العقد. وبارك الأب أنطون لهما القرآن وقبل كل واحد منهما قائلا: (ما جمعه الرب لا يفرقه إنسان.

وكذلك فعل الشيخ حامد الأغبر، وأبو ياسر الذي كان في غاية السعادة. وقد جلس بين الأب أنطون والشيخ حامد، وكانت جورجيت تطوف على المدعووين مرحبة تارة، وتارة تجلس على المنصة المليئة بالورود والأزهار والزنابق قرب العروسين، تلبسهما هدايا قدمتها لهما، ثم تسلم خاتمين إلى ياسر ليليس عروسه خاتماً. وتلبسه خاتمها أيضاً رمزاً لقيام حياة زوجية مستقبلية بينهما.

قام أبو ياسر مجدداً وهنا العروسين وقدم أيضاً هديته. قبلهما

ثم عاد إلى مجلسه بجانب الأب أنطون .

هنا كل الحاضرين ياسراً وخزامي كل بدوره وحسب قربه من المنصة. كان أبو ارز وسعاد موجودين على رأس المحتفلين وكذلك جواد شبروم وزوجته تغريد وابنتها جمانة، وجميع الأصدقاء يجلسون قريبين من منصة العروسين، وتم تقطيع قالب (الكاتو) وكانت الموسيقا تصدح وهم أبو أرز بإلقاء قصيدة لكن ياسر قال له : فيما بعد ...

و على بساطة الحفل، كان الحضور في أقصى درجات السرور لأن البساطة أحياناً تعطي من السحر أكثر ما تعطي الأماكن المغرقة في الفخامة، والغارقة في الشكليات

وفي اليوم التالي، استعد ياسر مع خزامى للذهاب إلى تركيا القضاء شهر العسل في الوقت الذي غادر فيه الأب أنطون إلى العراق ليلتقي بجبور القنافي في ديره، ليعرف أين وصل في نشاطاته.

كان جبور القناقي، قد جمع أعضاء مجلس الشورى في الدير على مدى أسبوعين، وضعوا خلال ذلك منطلقات حزبهم الجديد. الذي سموه حزب المحبة والسلام) وشكلوا قيادة للحزب كان جبور القناقي زعيمه، والأب أنطون هو نائب رئيس الحزب، وكان الرجل الثالث فيه أبو الحارث ثم وزعت المكاتب على بقية الأعضاء.

ووصل الأب انطون، وكان كل شيء جاهزاً في الحزب العتيد. شرحوا له إجراءاتهم وأطلعوه على دستور الحزب، وأعلموه بانه النائب لرئيس الحزب

قال الأب أنطون

كنت ارغب ان ابقى في ديري واعظاً، فمنطلقاتنا جميعاً أن لا ندخل السياسة في الدين أو الدين في السياسة.

قال القناقي :

- أنت الآن نائب الرئيس على أنك مواطن عراقي لا على أنك رئيس دير. نحن ضد الأحزاب الدينية والطائفية التي من أهدافها تقسيم المجتمع تقسيماً عمودياً، لكننا لا تمنع رجال الدين على أنهم مواطنون من أن يعملوا في الشأن العام، أو في السياسة وهنا فرق عظيم بين الأحزاب الطائفية والأحزاب التي لا يكون الدين فيها هدفاً لفرضه على الآخرين. رجل الدين مواطن، وله حقوق المواطنة، يرشح نفسه للمكان الذي يريد، فإن نجح حباً وكرامة وإن أخفق فالمجتمع لا يريده .

قال الأب أنطون :

ساتجرد إذن من مسوحي الدينية، واتفرغ للعمل الاجتماعي

ضمن الحزب

ثم قال أبو الحارث

- علينا الآن جمع السلاح وحفظه ، ليوم قد نحتاج إليه، لكن القبو في الدير لا يسع كل السلاح، فهل هناك مكان أكبر نضع فيه سلاحنا؟ يجب أن نوزعه بين مكانين على الأقل، فليس

من الحكمة وضع السلاح في مكان واحد.

قال الأب أنطون:

توجد مغارة على بعد عشرة كيلو مترات من الدير، وسط خرائب و آثار، والمكان غير مطروق والمغارة واسعة كبيرة، يمكن أن تسع بعض العربات.

قال أبو الحارث

هذا مكان جيد ومناسب لأسلحتنا لو تفضلت يا أبانا باخذنا إلى المكان لنستطلعه.

قال الأب أنطون

- من الآن وصاعداً، أرجو أن لا تنادوني باسم الأب أنا الآن نائب الرئيس نادوني باسم النائب ... ثم ضحك!

قال أبو الحارث

- معك كل الحق يا سيادة النائب، هلموا بنا لنستطلع المغارة.

في اليوم التالي نقلت الأسلحة إلى المغارة، وإلى قبو النبيذ في الدير، فامتلأ بعد ذلك تدارس المجتمعون، وتبدل الاسم من مجلس الشورى إلى المكتب السياسي لحزب المحبة والسلام ثم عملوا على إعداد الكوادر) والقيادات الحزبية واستؤجرت المكاتب للحزب في بغداد، وفي كل المدن العراقية انتشر اسم الحزب وعرف الشعب أهدافه. وكان لسمعة قادته الفضل في انتشاره بين

الشعب فالشعب بحسه الفطري، يعرف الوطني الأصيل من المزيف

فانتسبوا إليه أفواجاً

وسكن جبور القناقي داره، الكائنة قرب جامع الإيمان في بغداد.

وكان من عادته الصلاة في المسجد دون حراسات أو مظاهر تنم عن سلطة. وفي أكثر الأحيان كان يصلي صلاة الصبح فيه في أحد الأيام

هجم عليه ملثم وضربه بالخنجر في جبهته لم يمت على الفور.

ظن أن التنظيم الجهنمي قد عاد إلى مطاردته وأخذ الثار منه.

قال من فعل ذلك؟

قالوا له:

من غدر بك هو جارك الذي انتمى إلى تنظيم طائفي خارجي

قال :

المؤمن يؤتى من مأمنه، لقد تحقق حلمي الذي حلمت به منذ شهور. كنت أخشى محفل السفارة ولكن الغدر أتى من الجار.

أسلم الروح، وغاب.

عندما حضر أبو الحارث علم أن الذي قتله هو عضو في تنظيم طائفي له صلة مستترة بالسفارة ينسقان في السر، ويعلنان العداوة في الظاهر يا للخداع السافل ! عندما يضع جارك يده بيد عدوك

ليقول لك فيما بعد (أنا معك).

كان استشهاده شبيها باستشهاد سيدنا علي سيستمر النضال

بعدك يا جبور، مثلما كنت، وعلى الطريق نفسها

جرى تعديل على المكتب السياسي بعد استشهاده نصب الأب أنطون رئيساً مكانه وعدل في المكتب السياسي، بإدخال (هواش) إليه

قال أبو الحارث مخاطباً الأب أنطون

يبدو انا قد تخلينا عن سلاحنا، قبل الأوان لنعد إلى قبو

النبيذ فتستخرج سلاحنا لقد ودعنا مبكراً

أبلغ أعضاء المكتب السياسي، باجتماع يعقد غداً في الدير.

انتدارس الموضوع، ونضع الخطوات المستقبل، مازال غامضاً

اجتمعوا في الدير على مدى أيام وقرروا خوض النضال السياسي متلازماً مع العمل العسكري واستخراج السلاح، وحمله أولى من تخزينه وإهماله، فعدو الداخل قد يكون أخطر من عدو الخارج في بعض الأحيان.

ومازال النضال مستمراً رغم كل الانكسارات التي حصلت

وتحصل

تمت